"السلف ومنهجهم في تقرير مسائل العقيدة والاستدلال عليها (وجود الله وصفاته نموذجا)"

د. فضل الله حمدان أبكر قادم

أستاذ مساعد العقيدة بقسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية - جامعة الجنينة – جمهورية السودان

المقدمـــة

الحمد لله وحده نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى جميع الأنبياء والرسل الذين بعثوا يردون الناس إلى حقيقة الفطرة الواحدة، حيث الكلمة الواحدة، لا إله إلا الله، اللهم صل وسلم عليهم جميعاً وعلى سائر من تبعهم من أهل التوحيد بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد،،،

فإن علم العقيدة والتوحيد يعد من أشرف العلوم وأعلاها، لأن شرف العلم بشرف المعلوم، وعلم العقيدة يتناول العلم بالله وصفاته وأفعاله، وما يجوز له وما يمتنع عليه، وهذا هو ما بعث الله به الرسل للناس كافة، فإن التوحيد بهذا المفهوم هو مركز الرحى في أديان السماء جميعاً، والغاية الأولى لبعثة الأنبياء والرسل فما من نبي بعث في قومه إلا ودعاهم أول ما دعا إلى توحيد الله قائلاً:(يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُه) [1].

والإسلام مثل غيره من الأديان السماوية السابقة، فقد جاء مؤكداً لهذا المبدأ وعمل على نشره بين سائر الخلق صحيحاً بريئاً خالصاً من شوائب الشرك والإلحاد بكل معانيه وأنواعه، فجاء كتابه الكريم وجاءت سنته المطهرة يدفعان عن حياض التوحيد بياناً لمعانيه وجلاءً لحقيقته، اعتقاداً بوحدانية الله تعالى في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله مع كمال استحقاق العبادة والتشريع له وحده سبحانه وتعالى. وقد كانت العقيدة الإسلامية في عهدها النبوي صافية المأخذ، سليمة من كل الشوائب التي ألمت بها من بعد ذلك، يأخذها المسلمون عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير شك أو تردد، فآمنوا بالله ووجوده، وبما جاءهم عن الله من أسمائه وصفاته وأفعاله، فكانوا يعتقدون بآيات الصفات الإلهية وأحاديثها النبوية بل أمروها كما جاءت مع كامل التسليم لمفهومها فلم يتصرفوا في معانيها بتأويل أو تشبيه أو تعطيل.

([1]) سورة الأعراف، الآية (٥٩).

فكانوا يؤمنون بما جاء عن الله تعالى على مراد الله وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد كانت الآيات تنزل بالعقيدة واضحة دون لبس أو غموض، ولم يكن هناك أدنى شك أو شبهة لدى الصحابة في فهم هذه الآيات والتزام معانيها، بل آمنوا بكل ما طلب منهم الإيمان به مع التصديق الجازم والتسليم الكامل، فأمنوا بالله تعالى وتوحيده في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، وبالقضاء والقدر والبعث وبكل ما فيه، وبأن القرآن كلام الله تعالى القديم، دون أن تثار لديهم أية تساؤلات مريبة حول آيات وأحاديث الصفات، ولا قالوا بأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهكذا فقد استقامت حياة المسلمين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعيدة عن الاختلاف والتنازع ظل الحال كذلك حتى وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام[1].

أما عصر الخلفاء الراشدين فإن الصحابة رضوان الله عليهم قد ساروا على ما سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بما أمر الله به، وترك ما نهي عنه، وكانوا في قضايا الاعتقاد على ما كانوا عليه في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلم يتعرضوا لها بتأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل ولا تكييف، بل كانوا جميعاً متفقين على إثبات ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة من أوصاف لله سبحانه وتعالى بما يتفق وذاته المقدسة، ثم جاء التابعون فسلكوا مسلك الصحابة في أصول الدين وفروعه، ولم يحدثوا بدعة ولا تأويلاً، حتى في أواخر عصرهم أظهر الجعد بن درهم رأيه بالقول بخلق القرآن ونفي الصفات بالتأويل والتعطيل وهو الذي ابتدع كذلك بدعة القول في القدر، وتتلمذ عليه الجهم بن صفوان وأخذ عنه آراءه، ثم جاء دور المعتزلة في أوائل الدولة العباسية في عصر المأمون فأخذوا هذه الآراء وتأثروا بعلم الفلسفة.

وهكذا يبدو أنه قط ظهر في حياة المسلمين اتجاه فكري جديد متأثراً برياح الفلسفة اليونانية وما تبعها من هندية وفارسية وما سواها من

([1]) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، أحمد بن حجر آل بوطامي ١/٧-٨، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين والخوارج والشيعة، د. أحمد محمد حلبي، ص٢٢.

فلسفات وعقائد الأمم السابقة، فثار غبار الشك وعصفت رياح الجدل في الوسط الإسلامي وفي أواسط المسلمين الذين كانوا على منهاج واحد وسبيل متحد في الاعتقادات والأحكام.

وهكذا بدأت بعض الاتجاهات الشاذة تطل برأسها على الواقع الإسلامي من الكلام في الذات أوالصفات والقدر نفياً وإثباتاً والخوض في نصوص الوعد والوعيد والطعن في الصحابة أو الغلو فيهم إلى غير ذلك مما كان الناس في عافية منه.

ثم لم تلبث هذه الاتجاهات أن تطورت لتصبح فرقاً ونحلاً لكل منها من المقالات والاعتقادات ما تخالف به جماعة المسلمين، كالخوارج والشيعة والمرجئة والجهمية وغيرها، وعلى أثر انتشار الفلسفة اليونانية وخاصة في عهد بني أمية والذي تولد عنه ظهور هذه الفرق بصورة أكبر نشأ علم الكلام كما هو معروف لدى المتأخرين ومؤرخي الفرق الأمر الذي كان له أثره في دفع عجلة التفكير خاصة فيما يتعلق بقضايا الألوهية وما يتصل بها من أمور خاصة مسألة الذات والصفات ، ومن أجل ذلك أردت أن أكشف عن جانب من جوانب الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة وبيان مصادر وقواعد السلف في تلقي مسائل العقيدة وتقريرها وخاصة جانب الإلهيات (مما يتصل بذات الله ووجوده وأسمائه وصفاته).

ومن أجل ذلك فقد جاءت الدراسة بعنوان : ((السلف ومنهجهم في تقرير مسائل العقيدة والاستدلال عليها(وجود الله وصفاته نموذجاً)) من أجل أن يستبين أسهل المسالك وأوضح الطرق في هذه المسألة التي تتعلق بذات الله سبحانه وتعالى وما يتصل بها من قضايا، هذا هو الهدف الرئيسي من القيام بهذا العمل موضوع الدراسة الذي أضعه بين أيديكم، وسأتناول هذه المقدمة في نقاط متمثلة في أسباب اختيار الموضوع، والصعوبات التي واجهت البحث والمنهج الذي اتبعته في كتابة هذا البحث، ومن ثم خطة البحث كما يلي:

أولاً: أسباب اختيار الموضوع:

إذا كانت عقيدة التوحيد هي التي حددت موقف المسلم من غيره بوجه عام، فإن مفهوم هذه العقيدة والمنهج في إثباتها على وجه التفصيل هما اللذان حددا موقفه داخل المجتمع المسلم، وكانا من أبرز الأسباب التي أدت إلى تعدد الفرق والمذاهب الاعتقادية في تاريخ المسلمين.

وبذلك يمكن القول بأننا لو أمعنا النظر في تاريخ الفكر العقدي عند المسلمين لأدركنا في يسر أن أكثر مذاهبهم وفرقهم قد ظهرت من اختلاف أنظارهم إلى قضية الذات الإلهية وما يتصل بها، ولذلك فقد تباينت مناهجهم في تحديد مفهومها وكيفية إتباعه، فهم بين منزه، ومشبه، أو جامع بين التنزيه والتشبيه في بناء عقيدته في الله، أو هم بين معتمد على النقل أو العقل أو جامع بينهما من جهة أخرى.

وإذا تقرر ذلك فإنه يجب على المشتغلين والمهتمين بدراسة الفكر العقدي الإسلامي، ودراسة الفرق والمذاهب الإسلامية، أن يضعوا نصب أعينهم ذلك الدور الرئيسي والأثر الحلبي الذي كان لمفهوم قضية الذات الإلهية وما يتصل بها من أسماء وصفات وأفعال في تشكيل أطر الفكر العقدي عند المسلمين ومن هنا تتجلى أهمية هذه الدراسة التي أقدم لها وتظهر أيضاً أهم البواعث والدوافع على القيام بها، فما هذه الدراسة إلا تفصيل لما أجملته في الكلمات السابقة وبذلك يمكن القول بأن من أهم أسباب اختيارها:

١ــ بيان عقيدة أهل السنة والجماعة وخاصة في جانب الإلهيات مما يتصل بذات الله وأسمائه وصفاته.

٢ـ بيان أهم معالم المنهج السلفي في تلقي مسائل العقيدة والاستدلال عليها.

٣ــ بيان أن قضايا الذات الإلهية وما يتصل من أمور هي قضايا قد أوضحها القرآن وحدد موقف العقل البشري منها وأن المسلك الأعلم والأحكم والأسهل هو إلتزام ما ورد به القرآن والسنة وما كان عليه سلف الأمة.

ثانياً: العقبات التي واجهت الباحث (صعوبات البحث):

إن كل باحث لابد أن تواجهه بعض الصعوبات في سبيل الوصول إلى المعلومة بأدق تفاصيلها وبالتالي تحقيق الغاية التي يرمي إليها إلا أن هذه الإشكاليات قد تختلف على قدر وأهمية المسألة موضوع البحث وعلى ذلك فإن الباحث قد واجهته بعض الصعوبات يمكن الإشارة إليها في النقاط الآتية على سبيل الإجمال كما يلي:

١ـ تشعب موضوع الدراسة ودخوله في أبواب شتى في العقائد والفروع مما أخذ من الباحث جهداً ليس باليسير في الرجوع إلى أكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

٢ـ أن ما دونه أهل العلم والباحثين في هذا المجال على وجه الخصوص غالباً ما يقع فيه الخلط وعدم التمييز بين ما هو سلفي خالص وبين ما طابعه الجدل الكلامي ولو في بعض القضايا والفروع.

وتبقى أن أشير إلى المنهج الذي سلكته هذه الدراسة في جمع مادتها العلمية وتسجيلها والذي تتضح معالمه في النقاط التالية.

ثالثاً: منهج البحث.

١- لقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الوصف والتحليل والمقارنة بين الآراء واستخلاص وجه الحق والصواب منها مع الترجيح، وقد اعتمدت في أوجه المقارنة والترجيح ما أمكن على الكتاب والسنة إذ أنهما يمثلان المنبع الصافي لعقيدة الإسلام والأصول الملزمة لجميع المسلمين.
٢- عزوت الآيات إلى سورها وأماكنها في المصحف مع إثباتها بالحاشية وبيان أرقامها.
٣- خرجت الأحاديث من مظانها المعتمدة من كتب السنة وقد تعاملت في الغالب مع صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري وصحيح مسلم.
٤- قمت بتعريف ما يحتاج إلى تعريف لغوي أو اصطلاحي، مع كتابة بعض التعليقات والتوضيحات التي قد تشرح غامضاً أو تفسر مجملاً أو تخصص عاماً أو تقيد مطلقاً.
٥- حرصت كل الحرص على أن أنقل الأقوال من مصادرها ومظانها مع عرضها عرضاً مناسباً في كل فقرة من فقرات البحث ما وجدت إلى ذلك سبيلاً.
٦- عند ورود المصدر أو المرجع لأول مرة أوثق له كاملاً بذكر اسم الكتاب، ثم اسم المؤلف، ثم المجلد أو الجزء، ثم المحقق إن وحد، ثم رقم الطبعة وتاريخها، ثم دار النشر.
٧- في حالة أن يتكرر اسم المصدر أو المرجع غالباً ما اقتصر على ذكر اسم الكتاب والمؤلف مختصراً.

رابعاً: خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة ومبحثين وأربعة مطالب تحتها عدد من البنود والفروع.

أما المقدمة فقد ذكرت فيها أهمية موضوع البحث وأسباب اختياره، والعقبات التي واجهت الباحث، ومن ثم منهج البحث الذي سارت عليه هذه الدراسة وخطتها.

المبحث الأول:التعريف بالسلف ومنهجهم في الاستدلال على مسائل العقيدة.

لما كان الغرض الأساسي من الدراسة هو بيان منهج السلف في الاستدلال وتقرير مسائل العقيدة ، فقد عرفت بالسلف لغةً واصطلاحاً مع بيان المنهج السلفي في التلقي والاستدلال على قضايا العقيدة مع ذكر أهم قواعد السلف في الاستدلال.

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول:السلف لغةً واصطلاحاً.

المطلب الثاني:منهج السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة

المبحث الثاني: منهج السلف في إثبات وجود الله وصفاته.

تناولت الدراسة منهج السلف في إثبات مسألة وجود الله عز وجل وصفاته وأدلتهم على ذلك.

ويحتوي على مطلبين:

المطلب الأول:منهج السلف في إثبات وجود الله وأدلته.

المطلب الثاني: منهج السلف في إثبات صفات الله عز وجل.

أما الخاتمة فقد تعرضت فيها لأهم ما توصلت إليه من نتائج .

وأحب أن أشير هنا إلى أن عرضي لقضية منهج السلف في تقرير مسائل العقيدة لم يكن استقصاءً لكل ما قاله السلف، أو عبروا عنه ، بقدر ما كان عرضاً لما يمكن أن يبين لنا مصادر وقواعد منهج السلف، أو يعيننا على إدراك المعالم والسمات التي ينبني عليها المنهج السلفي، ولا أدعي في ذلك كمالاً فإن الكمال لله وحده، وأن النقص من سمات البسر، وحسبي في ذلك أنني بذلت جهدي وتحريت لمعرفة الصواب ما أمكنني، فما كان من صواب فمن الله تعالى فضلاً وإنعاماً، وما كان من خطأ وزلل فمن نفسي والشيطان وإني لاستغفر الله منه، والله أسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يثبته في موازين حسناتي وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الأطهار، وعلى جميع التابعين لهم بإحسان.

المبحث الأول: التعريف بالسلف ومنهجهم في الاستدلال على مسائل العقيدة.

المبحث الثاني:منهج السلف في إثبات وجود الله وصفاته.

المبحث الأول

التعريف بالسلف ومنهجهم

في الاستدلال على مسائل العقيدة

ويحتوي على مطلبين:
المطلب الأول: السلف لغةً واصطلاحاً.
المطلب الثاني: منهج السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة.

المطلب الأول

السلف لغةً واصطلاحاً.

أولاً: السلف لغةً:

لبيان معنى السلف في اللغة يمكن الرجوع إلى معاجم اللغة العربية التي أوردت معنى هذه الكلمة تحت مادة ـ سلف ـ يقول ابن منظور: (سلف يسلف سلفاً وسلوفاً: تقدم... والسالف: المتقدم، والسلف الجماعة المتقدمون)[1]، ومنه قوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾[2]، وسلف الرجل: آباؤه المتقدمون، والسلف أيضاً القوم المتقدمون في السير، وسلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح[3].

والسلف: جمع سالف وكل من تقدمك من آبائك وذوي قرابتك في السن أو الفضل[4] ويشهد له حديث فاطمة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (ولا أراني إلا وقد حضر أجلي وإنك أول أهلي لحوقاً بي ونعم السلف أنا لك)[5]

---

(1) لسان العرب، لابن منظور ١٥٨/٩.
(2) سورة الزخرف، الآية (٥٦).
(3) انظر: لسان العرب ١٥٩/٩، كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي ٢٥٨/٧، محيط المحيط، بطرس البستاني، ص٩٨٢-٩٨٣.
(4) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، استانبول، تركيا، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، الجزء الأول، ص٤٤٣-٤٤٤.
(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام، حديث رقم٢٤٥٠، ١٩٠٥/٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٢٨٢/٦.

وسلف الشيء: أي مضى [1]، ومنه قوله تعالى:(فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ) [2].

ويبدو واضحاً من العرض السابق أن أهل اللغة متفقون على أن من معاني كلمة سلف التقدم والسبق سواء كان بالعمل الصالح الذي يقدمه الإنسان في حياته، أو من تقدم من الآباء وذوي القرابة وغيرهم ومن ذلك السلف الذين مضوا[3].

وكل ما مضى وتقدم عن الزمن الذي يعيش فيه الإنسان ولذلك سُمي الصدر الأول من الصحابة والتابعين السلف الصالح لأنهم أهل السبق والاقتداء بالنسبة لمن جاء بعدهم من أهل الإسلام جميعاً وسيأتي مزيد إيضاح لهذه المسألة عند الحديث عن معنى مدلول كلمة السلف في الاصطلاح الشرعي لأهل العلم.

ثانياً: السلف اصطلاحاً:

النظر إلى التاريخ الإسلامي يجد أن معظم الفرق الإسلامية إن لم يكن كلهم حرصاً منهم على إثبات مفاهيمهم، قد حاولوا جاهدين اعتبار القرآن والسنة أصلاً لمذاهبهم ومصدراً لفكرهم وآرائهم وأعلنت كل فرقة منهم صراحة أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو إمامهم وأن كبار الصحابة على رأس طبقات رجالهم وأنهم متبعون لا مبتدعون فالمعتزلة جعلوا الخلفاء الراشدين وكبار الصحابة على رأس طبقاتهم ولذلك سموا أنفسهم معتزلة بكسر الزاي زعماً منهم بأنهم اعتزلوا للانحرافات العقدية التي نشأت بين الفرق الإسلامية، والأشاعرة يسمون أنفسهم بأهل السنة والجماعة، كما يسمون أنفسهم الخلف باعتبار أنهم خلفوا السلف في اعتقاداتهم[4][5].

---

(1) القاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المتوفي سنة٨١٧هـ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٩٩٨م، ص١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة، ص٨٢٠، الصحاح، للجوهري ١٣٧٦/٤، مختار الصحاح، للرازي، ص٣٠٩، معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين احمد بن فارس ٩٥/٣.

(2) سورة البقرة، الآية (٢٧٥).

(3) معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس ٩٥/٣.

(4) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد دسوقي، دار الدعوة، الإسكندرية، بدون ذكر الطبقة وتاريخها، ص١٥.

(5) الأشاعرة بالرغم من أنهم من أقرب الفرق إلى أهل السنة والجماعة إلا أنهم يخالفون أهل السنة والجماعة في مسألة للاستدلال على قضايا الاعتقاد خاصة المتأخرين منهم فقد قدموا العقل على النقل وجعلوا حاكماً عليه، وهذا بخلاف ما عليه السلف، انظر: المدخل

وأما القدرية فقد رفضوا هذه التسمية وقالوا إن اسم القدرية يجب أن يكون علماً على الذين يحتجون عن معاصيهم بالقدر لا الذين يرفضون الاحتجاج به وينكرونه، ومن ثم فقد أطلق هذا الاسم أيضاً على أهل الجبر الذين يزعمون أيضاً بأنهم ينزهون الله في الخلق والفعل، وهكذا نرى أن كل فرقة تدعي أنها على الحق وأنها تنسب إلى السلف الصالح ولذلك نرى أن تحديداً واضحاً لمفهوم السلف يبدو لغير الدارسين أمراً في غاية الصعوبة، حيث حاولت كل فرقة أن تكون هي صاحبة الاسم، لتكون هي الفرقة الناجية من النار استناداً إلى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم حيث قال: (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)[1][2].

ولذلك يضيق المجال هنا عن تحديد المفهوم التاريخي للسلف وحصرهم، لما ثار حول هذا المفهوم من تنازع بين الفرق الإسلامية ولكن إذا كان المسلم به من كل الفرق والاتجاهات أن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في فهم حقائق القرآن وسوره وآياته والتعامل معه بتطبيق أحكامه ومعرفة مفاهيمه وحقائقه الربانية هو المنهج الصحيح، فلا شك أن الفرقة الفكرية التي التزمت هذا المنهج بكل دقة وأمانة وتعاملت مع القرآن الكريم والسنة الصحيحة كتعامل الصحابة معهما دراسة وتطبيقاً، لا شك أن هذه الفرقة هي الأجدر بالتسمية والانتساب إلى السلف وهي الأحق بالتفرد بالنجاة دون سواها[3].

كما يمكن القول أيضاً أن أية فرقة أو أي مذهب أو أي اتجاه أو منهج فكري، إنما يقرب من الحقيقة الإسلامية أو يبعد بمدى قربه أو بعده عن المصدر الصحيح والمنهج الصريح، فيصيب بقدر قربه منه ويخطئ بقدر بعده عنه، وهذا هو المقياس الإسلامي الحق، ومن ثم يمكن القول أن السلفيين أو أهل السنة والجماعة في الفكر الإسلامي

إلى دراسة علم الكلام، د. حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ص١٥٩.

(1) أخرجه أبوداوود، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم٤٥٩٧، ٥/٥.

(2) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد دسوقي، مرجع سابق، ص١٦-١٧.

(3) انظر: القضاء والقدر في الإسلام، مرجع سابق، ص١٦٤.

هم الصحابة ثم التابعون ثم تابعي التابعين، ثم المحدثون الذين جعلوا همهم التحقق من صحة الأحاديث النبوية، ثم الفقهاء وهؤلاء جميعاً هم الذين وقفوا في وجه سائر الفرق الأخرى متهمين إياهم بالابتداع مقتصرين على الإتباع[1].

وهذا الاصطلاح هو الذي أطلقه علماء العقيدة ففي اصطلاحهم السلف هم الصحابة رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وتابعيهم وأئمة الإسلام العدول ممن اتفقت الأمة على إمامتهم وعظم شأنهم في الدين وتلقى المسلمون كلامهم خلفاً عن سلف بالقبول دون من رُمي ببدعة أو لقب غير مرضي كالخوارج والرافضة والناصبة والقدرية والمرجئة والأشعرية والمعتزلة والجهمية ونحوهم،فمذهب السلف بذلك هو طريقهم في الاعتقاد المنسوب غليهم.

وقد بيّن ابن تيمية طريقتهم ومنهجهم بقوله: (ثم من طريقة أهل السنة والجماعة، إتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وإتباع وصيته رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة)[2].

ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار الناس، ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد، وبهذا سموا أهل الكتاب والسنة، وسموا أهل الجماعة...، وهم يزنون بهذه الأصول جميع ما عليه الناس من أعمال وأفعال، باطنه أو ظاهره مما له تعلق بالدين)[3].

فالسلف في نظر ابن تيمية الذين وقفوا عند حدود الكتاب الكريم والسنة المطهرة، دون أن يبتدعوا في الدين شيئاً فهم خير القرون تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يجئ قوم تسبق شهادة أحدهم

---

(1) القضاء والقدر في الإسلام، مرجع سابق، ص١٨.
(2) أخرجه أبوداوود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم٤٦٠٧، ١٣/٥.
(3) الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، مرجع سابق، ص١٩٦.

يمينه)[1]، وعلى ضوء هذا الحديث نحي بعض العلماء إلى تحديد مفهوم السلف بفترة زمنية محددة ومنهم من أوسع دائرة المفهوم ليشمل كل من سار على درب الأوائل طريقاً ومنهاجاً، فعلى الرأي الأول يكون مفهوم السلف قد انتهى ومضى بموت رجاله، وعلى الرأي الثاني يتجدد مفهوم السلف كلما بقيت ثلة من المؤمنين تسير على خطى الصحابة والتابعين إلى أن يرث الله الأرض وهو مصداق قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك)[2].

وبذلك يمكن القول بأن مفهوم السلف زماناً يشمل العصر الذهبي الذي يمثل نقاء الفهم، والتطبيق للمرجعية الفكرية والدينية، قبل ظهور المذاهب والتصورات التي وفدت إلى الحياة الفكرية، بعد الفتوحات التي أدخلت الفلسفات غير الإسلامية على فهم السلف الصالح للإسلام، ولقد اختص بهذا الاسم الصحابة والتابعون حتى لا يكاد يطلق هذا اللفظ إلا وصرف معناه إليهم وهم من كانوا قبل الثلاثمائة وقيل من كانوا قبل الخمسمائة ويقابلهم الخلق[3].

والسلف بهذا المفهوم يمكن أن يطلق على الجيل المؤسس، الذي أقام الدين، وطبق منهاج الإسلام جيل الصحابة الذين عاشوا وعايشوا عصر تنزل الوحي، وامتلكوا سليقة فهم مصطلحاته على النحو الذي كانت عليه في عصر التنزيل، وتلقوا عن المعصوم صلى الله عليه وسلم، البيان النبوي للبلاغ القرآني، وحولوا جميع ذلك إلى واقع حياتي معاش، فغدوا لذلك السلف الصالح، ثم انضم إليهم في زمرة السلف من اهتدى بهديهم وعمل بسنتهم وسار على طريقتهم من التابعين وتابعي التابعين وتابعيهم إلى قيام الساعة[4]، إلا أن مفهوم السلف وإن أطلق على كل من عاش من أهل القرون الأولى إلا أنه يشمل فقط من شُهد له بالعدالة والصلاح، ليخرج من مفهوم السلف كل

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، حديث رقم٢٥٣٣، ١٩٦٢/٤.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب قوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم)، حديث رقم١٩٢٠، ١٥٢٣/٣.

(3) تحفة المريد على جوهرة التوحيد، الباجوري، ص٨١-٨٢.

(4) الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، تأليف د. محمد عمارة، شركة نهضة مصر، ص١٩-٢١.

من رُمي ببدعة، أو سُمي بأسماء أو لُقب بألقاب كالخوارج والشيعة والقدرية والجهمية والجبرية وغيرهم[1]كما أسلفنا سابقاً.

وهذا يعني أن السلفية في الدين تعني الرجوع في الأحكام الشرعية إلى منابع الإسلام الأولى، أي الكتاب والسنة مع إهدار ما سواهما، والسلفي بذلك هو الذي يحذو حذو السلف الصالح أهل السبق والخيرية قولاً وفعلاً واعتقاداً[2]، وفي ذلك يقول الإمام اللالكائي: (أما السلف فقد اتخذوا كتابه إماماً وآياته فرقاناً، ونصبوا الحق بين أعينهم عياناً، وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم جُنة وسلاحاً، واتخذوا طرقها منهاجاً، وجعلوها برهاناً، فلقوا الحكمة، ووقوا من شر الهوى والبدعة، لامتثالهم أمر الله في إتباع الرسول، وتركهم الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق)[3].

ويقول حافظ بن أحمد حكمي في وصف أهل السنة والجماعة السلف الصالح: (فآمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم في سنته، وتقلوه بالقبول والتسليم، إثباتاً بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهاً بلا تحريف ولا تعطيل)[4].

ويظهر مما سبق ذكره أن من أبرز ما يختص به منهج السلف هو الوقوف عند حدود القرآن والسنة النبوية الصحيحة والسلفي بذلك هو: من يرجع في الأحكام الشرعية إلى الكتاب والسنة، ويهدر ما سواهما[5]، ومما لا شك فيه أن الصحابة والتابعين هم أحق الناس

---

(1) انظر: العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، لمؤلفها وناظمها أحمد بن حجر آل بوطامي النبعكي، دار الكتب القطرية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، الجزء الأول، ص٧.

(2) انظر: الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، تأليف د. محمد عمارة، ص٢٢، ٢٧.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تأليف الشيخ الحافظ أبي القاسم هبة الله اللالكائي، (ت:٤١٨هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، الجزء الأول، ص١٥.

(4) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الجزء الأول، ص١٥.

(5) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون ١/٤٤٤.

بذلك، فالسلف الصالح من الناحية الزمانية أو التاريخية هم الصحابة والتابعون من أهل القرون الثلاثة الأولى، فأصبح بذلك مذهب السلف علماً على ما كان عليه هؤلاء حيث كانوا يتلقون القرآن وجميع الأحكام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أشكل عليهم فهمه سألوا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم وهم في كل ذلك في غاية الخضوع والامتثال على هذا الصراط المستقيم والنهج القويم والجمع بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح والعلم النافع كان هذا الزمن الذي عاش فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته حتى فارق الدنيا[1].

أما في عصر الخلفاء الراشدين فإن الصحابة رضوان الله عليهم ساروا على ما سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته، فكانوا في الأمور الاعتقادية على ما كانوا عليه في حياتهم مع الرسول يهتدون بهدى القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، ثم جاء التابعون فسلكوا مسلك الصحابة في أصول الدين وفروعه ولم يحدثوا بدعة ولا تأويلاً[2].

ويتضح من ذلك أن الأصل في مفهوم السلف إذاً تجرد كان وقفاً على الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهذا التحديد هو لبيان المنطلق والبداية لمذهب السلف إلا أن هذا لا يعني حصر مفهوم السلف في هؤلاء المتقدمين وإنما يتسع المفهوم ليشمل كل من جاء بعدهم وقال بقولهم وأستنَّ بسنتهم وسار على طريقتهم في الاعتقاد والقول والعمل إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها[3].

وبذلك فمذهب السلف هو مذهب المتقدمين من أهل الإسلام الذين يقتدي بهم في الدين كأبي حنيفة وأصحابه والأئمة الأربعة جميعاً فإنهم سلف لمن بعدهم والصحابة سلف لهم[4].

---

(1) انظر: العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، لمؤلفها وناظمها أحمد بن حجر آل بوطاس البنعكي١/٧-٨.

(2) نفس المرجع، ص٩.

(3) انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة، تأليف د. عبدالرحمن بن صالح المحمود، ص٤٠، اللباب في تهذيب الأنساب، تأليف عز الدين بن الأثير الجزري، مكتبة المثنى، بغداد، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، الجزء الثاني، ص١٢٦.

(4) انظر: محيط المحيط، بطرس البستاني، ص٩٨٢ وما بعدها، علوم الحديث ومصطلحه، عرض ودراسة وتأليف د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عشرة،١٩٨١م، ص٩.

ونخلص من ذلك أن السلفية بهذا المعنى هي الطريقة التي كان عليها الصحابة والتابعين وتابعيهم ومن تبعهم من أهل التمسك بالكتاب والسنة وتقديمهما على ما سواهما وأولهم الصحابة رضوان الله عليهم ثم هي منهاجاً باقياً إلى يوم القيامة يصح الانتساب إليه متى ما التزمت شروطه وقواعده، وعلى ذلك يدخل في مفهوم السلف كل من تأخر عنهم وجاء من بعدهم ولكنه على منهجهم في الاعتقاد والعمل[1].

ويتضح من العرض السابق أن مفهوم ومصطلح السلف لم يقتصر على أصحاب القرون الأولى من الصحابة والتابعين وتابعيهم بل أنه يتسع ليدخل فيه جميع المتأخرين من بعدهم مادام أنهم على المنهج الذي كان عليه الأوائل، كما أن مفهوم السلف أو أهل السنة والجماعة أو أهل الحديث والأثر جميعها مصطلحات مترادفة معناها واحد الأصل فيه الالتزام بما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في العقائد والأحكام.

فمعنى السلف في الاصطلاح الشرعي لأهل العلم يتوافق مع المعنى اللغوي عند علماء اللغة العربية حيث كلاهما يدل على معنى السبق والتقدم، إلا أن المعنى الاصطلاحي لم يكن مقصوراً على زمن بعينه أو جيل كذلك وإنما يتسع بحسب حدود الزمان والمكان إلى قيام الساعة مادام أن المنهج واحد في أصوله ومنابعه.

---

(1) انظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، المجلد الأول، ص٣٥.

المطلب الثاني

منهج السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة

أولاً: مصادر منهج السلف في تلقي العقيدة والاستدلال عليها.

المصدر الأول: القرآن الكريم:

قبل أن نقف مع القرآن باعتباره المصدر الأول من مصادر السلف في تلقي العقيدة والاستدلال عليها ينبغي أن نتعرف على معنى القرآن في اللغة وفي الاصطلاح الشرعي لأهل العلم كذلك.

فالقرآن في اللغة يتضح معناه بقول ابن منظور: (القرآن: التنزيل العزيز، من قرأه يقرؤه ويقرءه، قرءاً وقراءة وقرآناً، فهو مقروء، والقرء في اللغة الجمع، وقرأت القرآن: لفظت به مجموعاً[1]... ومنه قرأ الكتاب قراءةً، وقرآناً تتبع كلماته نظراً ونطق بها، وهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف)[2].

وبذلك يُسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم كتاباً وقرآناً وفرقاناً، ومعنى القرآن: الجمع، وسُمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها[3]، ومنه قوله تعالى:(إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[4]، أي جمعه وقراءته... وقرأت الشيء قرآناً جمعته وضممت بعضه إلى بعض[5].

وعلى ذلك يسمى كلام الله تعالى الذي أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كتاباً وقرآناً وفرقاناً، فالقرآن اسم لكتاب الله مثل التوراة والإنجيل[6].

فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز الذي أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وسُمي قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها، وسُمي

---

(1) لسان العرب، لابن منظور ٥٠/١٢.
(2) نفس المرجع ٥٢/١٢.
(3) المرجع السابق ٥٠/١٢.
(4) سورة القيامة، الآية (١٧).
(5) المرجع السابق، ص٥٠، محيط المحيط، بطرس البستاني ١٦٨٠/٢، الصحاح، للجوهري ٦٥/١.
(6) لسان العرب، لابن منظور ١٢٨/١-١٢٩.

فرقاناً باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل، أو أنه مفروق بعضه عن بعض في النزول والآيات[١].

وأما معنى القرآن في الاصطلاح فقد عرفه السبكي[٢] بقوله: (هو الكلام المنزل للإعجاز بسورة منه)[٣].

وأما الإمام الشوكاني فعرفه قائلاً: (هو الكلام المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم المكتوب في المصاحف المنقول إلينا نقلاً متواتراً)[٤]، وعرفه الإمام الغزالي قائلاً: (وحد الكتاب ما نقل إلينا بين دفتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً)[٥].

فالقرآن كما هو واضح من الأقوال السابقة أنه كلام الله المنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم للإعجاز بسورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته[٦]، وبذلك اختص القرآن بأنه أنزل على النبي صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء والرسل وأصبح بذلك الكتاب المعهود والمحتج به في الشرع الإسلامي على الأحكام الشرعية والعقدية، وكونه متعبد بتلاوته قيد يُخرج

---

(١) انظر: إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام الشوكاني (١١٧٣هـ-١٢٥٠هـ)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، الجزء الأول، ص١٤١، مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، المجلد الأول، ص١٤.

(٢) هو أبوالحسن علي بن عبدالكافي الأنصاري الملقب بتقي الدين السبكي، أصولي، فقيه، محدث، مفسر، له كتاب شرح المنهاج، ولد سنة ٦٨٣هـ، وتوفي سنة ٧٥٦هـ، انظر: معجم المؤلفين٤٦١/٢، الأعلام ٣٠٢/٤.

(٣) الإبهاج في شرح المنهاج، تأليف شيخ الإسلام علي بن عبدالكافي السبكي، المتوفي سنة ٧٥٦هـ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٠١هـ-١٩٨١م)، ص١٨٩.

(٤) إرشاد الفحول، للشوكاني ١٤١/١.

(٥) المستصفى في علم الأصول، تأليف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفي سنة٥٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٧هـ-١٩٩٦م)، ص٨١.

(٦) دراسات في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص١٩، التعريفات، للجرجاني، ص١٧٥.

الأحاديث القدسية والنبوية لأن التعبد بتلاوته معناه الأمر بقراءته في الصلاة وغيرها على وجه العبادة والأحاديث ليست كذلك[1].

ويلاحظ أن كل من الكتاب والقرآن يطلق على كلام الله المعجز المقروء بألسنة العباد[2].

وأما التعريف الذي أورده الإمام علي بن أبي العز حيث قال: (وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفية قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر)[3].

يبدو أن هذا التعريف المقصود منه هو إظهار معتقد أهل السنة والجماعة خاصة وقد ظهر الخوض في صفات الله تعالى وفي كلام الله من قبل أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وغيرهم، وهو ما عليه جمهور الأمة وأئمتها من أهل الفقه والحديث، أن القرآن كلام الله حروفه ومعانيه فهو شامل للفظ والمعنى جميعاً وهو ما أوضحه ابن تيمية بقوله: (أصل هذه المسألة هو معرفة كلام الله تعالى ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم على ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود)[4].

ويظهر مما سبق أن القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ثم نقل من هذا المعنى المصدري وجعل اسماً للكلام المعجز الذي أنزله الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم.

وأما حجيته فالقرآن حجة شرعية على الأحكام والعقائد لأنه حقيقة علمية ثابتة نقله جبريل عليه السلام عن الله عزّ وجل، ونقله كذلك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل ونقله الصحابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تواتر نقله وتتابع جيلاً بعد جيل عبر

---

(1) انظر: شرح التعريف الاصطلاحي ومحترزاته، إرشاد الفحول، للشوكاني ١٤١/١ وما بعدها، المستصفى، للغزالي، ص٨٠ وما بعدها.

(2) المستصفى، للغزالي، ص٨١، إرشاد الفحول ١٤١/١.

(3) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، ص١٠٤.

(4) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع دار العربية، بيروت، لبنان، تصوير الطبعة الأولى١٣٩٨هـ، المجلد الثاني عشر، ص٣٧.

القرون حتى وقتنا الحاضر حيث وصل إلينا مثلما نزل قبل أربعة عشر قرناً من الزمان، وسيظل الحفظة يرونه للأجيال المقبلة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فالقرآن من حيث ثبوته لا شك أنه مقطوع به، فكل آية من آياته كان الرسول صلى الله عليه وسلم يحفظها ويقوم بقراءتها وتمليتها على كتاب الوحي من أصحابه ليكتبها، ويقوموا بوضعها في الموقع المحدد لها، وعلى ذلك فترتيب السور ووضع الآيات في مواضعها إنما كان بالوحي حيث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومما أجمع الصحابة على وضعه في المصحف)[1].

فالقرآن ثابت بالتواتر ولا يعرف أن كتاباً من الكتب قد تواتر تواتر القرآن الكريم في لفظه وطريقته، فهو متواتر بكل صور قراءاته وإن كانت العرضة الأخيرة هي الكاملة والخاتمة وهي التي قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على جبريل عليه السلام، وفوق هذا فالقرآن محفوظ في الصدور والسطور حيث كان محفوظاً في صدور الصحابة رضوان الله عليهم في حياته صلى الله عليه وسلم وكذلك بعد وفاته حفظاً وتدويناً، فقد تم جمعه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن كانت الكتابة في عهده متفرقة غير مجتمعة في مصحف واحد حيث كان الجمع جمعاً أولياً للقرآن يضع الصحابة الآيات في موضعها من السور حسب الترتيب الذي جاء به الوحي، وقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم فانتقل إلى الرفيق والقرآن محفوظ في صدور صحابته مكتوباً في الصحف، ثم تلت هذه المرحلة المرحلة الثانية والتي جُمع فيها القرآن بترتيب آياته وسوره في مصحف واحد في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم كان توحيد المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبذلك تحقق حفظه كما قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[2]، فهو

---

(1) انظر: دراسات في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص٣٧ وما بعدها.

(2) سورة الحجر، الآية (٩).

معجزة الله الخالدة ومعجزة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وسيظل القرآن كذلك متحدياً عوامل الفناء والإفناء[1].

فالقرآن بذلك حجة شرعية مقطوع بها في العقائد والأحكام وهو المصدر الأول للتشريع الإسلامي باتفاق جميع الأمة، وعلى ذلك فإن كل تعاليم الإسلام ترجع إليه من حيث أصولها في العقائد والعبادات والشعائر والأخلاق والآداب فكان هو الأصل المرجوع إليه في كل شيء مصداقاً لقوله تعالى:(مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[2][3]، فالقرآن حجة شرعية واجب الإتباع والالتزام ولا خلاف في ذلك بين جمهور المسلمين،وعليه يمكن القول بأن منهج السلف في الاستدلال بالقرآن الكريم يتمثل

في: تفسير القرآن بالقرآن.

فالسلف يقوم منهجهم في الاستدلال بالقرآن على تفسير القرآن بالقرآن أولاً يقول ابن كثير: (فإن قال قائل فما أحسن التفسير فالجواب أن أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن فما أجمل في مكان فإنه قد يبسط في موضع آخر)[4].

فالقرآن أشمل على الإيجاز والإطناب وعلى الإطلاق والتقييد وعلى العموم والخصوص وما أجمل في مكان قد يبين في موضع آخر، وما جاء مطلقاً في ناحية قد يلحقه التقييد في ناحية أخرى، وما كان عاماً قد يخصص في موضع آخر كذلك، ولهذا كان لابد لمن يتعرض لتفسير كتاب الله تعالى والاستدلال به أن ينظر في القرآن فيجمع ما تكرر منه في موضوع واحد ويقابل الآيات بعضها ببعض ليستعين بها في فهم وتفسير كتاب الله تعالى وهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في فهم معاني القرآن الكريم والاستدلال به في جميع قضايا العقائد والأحكام[5].

---

(1) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢٣٣/١ وما بعدها، الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي ٥٧/١ وما بعدها، مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني ٢٥٢/١.

(2) سورة الأنعام، الآية (٣٨).

(3) انظر: دراسات في القرآن الكريم، د. الحفناوي، ص٩١.

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/١.

(5) انظر: التفسير والمفسرون، تأليف د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السادسة(١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، الجزء الأول، ص٤٢ وما بعدها.

ثم إن السلف يفسرون القرآن بالسنة من بعد تفسير القرآن بالقرآن لأن السنة النبوية الصحيحة هي النوع الثاني من الوحي بعد القرآن الكريم وهي المصدر الثاني للتشريع بعد كتاب الله تعالى، وتفسير النبي صلى الله عليه وسلم للقرآن وبيانه إنما هو تفسير من عند الله تعالى بدليل قوله تعالى:(وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ)[١].

يقول ابن كثير: (أصح الطريق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن... فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له، وكل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن)[٢]، وهو مصداق قوله تعالى:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[٣].

ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[٤] يعني السنة[٥]، فالسنة تأتي مؤيدة ومقررة لأحكام القرآن وموافقة لها تارة وذلك مثل الأحاديث التي تدل على وجوب الصلاة والصيام والزكاة والحج، حيث قال تعالى:(فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ)[٦]، فجاءت السنة موافقة القرآن حيث قال صلى الله عليه وسلم: (بُني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان)[٧]، وهو موافق لقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) [٨]، وقوله تعالى:(وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ

---

(١) سورة النجم، الآيتان (٣-٤).
(٢) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/١.
(٣) سورة النحل، الآية (٤٤).
(٤) أخرجه أبوداود في سننه، كتاب السنة، باب في لزوم السنة، حديث رقم٤٦٠٦، ١٩٧٢/٤، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٣١/٤.
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/١.
(٦) سورة الحج، الآية (٧٨).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه، "فتح الباري"، حديث رقم٨، ٤٩/١، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم٨، ٣٧/١.
(٨) سورة البقرة، الآية (١٨٣).

حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)[1]، فالسنة هنا جاءت موافقة لما جاء به القرآن من حيث الإجمال والتفصيل، فهي بذلك مقررة مؤكدة لأحكام القرآن[2].

وقد تأتي السنة مبينة لأحكام القرآن من تخصيص عام أو تقييد مطلق أو تفصيل مجمل أو نحو ذلك[3]، فالسنة بذلك شارحة للقرآن ومفسرة وموضحة له.

وكذلك من منهج السلف في الاستدلال بالقرآن الكريم أنهم يفسرونه بأقوال الصحابة والتابعين لأنهم أعرف الناس بكتاب الله وهم الذين عايشوا الوحي تنزيلاً وتفسيراً، وفوق ذلك فهم أهل اللغة وأرباب الفصاحة والبلاغة الذين نزل القرآن بلسانهم، يقول ابن كثير: (إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح...)[4]، بل هم أهل الخيرية من القرون الأولى الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم...)[5].

وكذلك يقوم منهج السلف في الاستدلال بالقرآن على تفسير القرآن بدلالات اللغة العربية، خاصة وأنها لغة القرآن الكريم قال تعالى:(إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[6]، وعلى ذلك فلا يمكن أن تفهم معاني القرآن أو تفسر كلماته إلا في ضوء معرفة دلالات اللغة العربية، ولما كان السلف الصالح هم أهل اللغة الذين تنزّل القرآن بلسانهم فهم بلا شك أعلم الناس بتفسيره ومن ثم الاستدلال به على جميع مسائل الدين وخاصة قضايا العقيدة[7].

---

(1) سورة آل عمران، الآية (٩٧).
(2) انظر: دراسات في القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم الحفناوي، ص٤٤٩.
(3) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي ٩/٤ وما بعدها، دراسات في القرآن الكريم، للحفناوي، ص٤٥٢.
(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤/١.
(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، حديث رقم٢٥٣٣، ١٩٦٢/٤.

(6) سورة الزخرف، الآية (٣).
(7) انظر: الإبهاج في شرح المنهاج، للسبكي، المتوفي سنة ٧٥٦هـ، ص١٨٩، الموافقات، للشاطبي٣٦٩/٣.

ولتقرير ما سبق يقول ابن تيمية: (فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين، وبينه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده، بالرسل الذين بينوه وبلغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه)[1].

ويتضح مما سبق ذكره أن منهج السلف في الاستدلال بالقرآن الكريم يدخل تحت طائلة التفسير والذي منه التفسير بالمأثور الذي يعتمد على صحيح المنقول في تفسير القرآن بالقرآن أو بالسنة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم لأنها جاءت مبينة لكتاب الله، أو بما روي عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو التابعين لأنهم تلقوا ذلك عن الصحابة رضي الله عنهم، فالقرآن هو المصدر الأول من مصادر السلف لتلقي قضايا العقيدة وغيرها، وما تبقى من مصادر فهي تبعاً له وترد إليه.

المصدر الثاني: السُنَّة النَّبوية.

قبل أن نتعرف على السنة كمصدر ثاني من مصادر السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة وغيرها يجدر بنا أن نُعرّف أولاً بالسنة في اللغة والاصطلاح كذلك حتى يتضح المعنى بصورة أوسع، فالسنة في اللغة هي: الطريقة والسيرة حميدةً كانت أو ذميمة[2]، وهو ما ذهب إليه ابن منظور كذلك بقوله: (والسنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة)[3]، وفي القرآن الكريم قال تعالى:(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا) [4]، وفي الحديث: (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء)[5]، وكل من ابتدأ أمراً

---

(1) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية ٤٣/١.
(2) المعجم الوسيط ٤٥٦/١.
(3) لسان العرب، لابن منظور ٢٨٠/٧.
(4) سورة الكهف، الآية (٥٥).
(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، حديث رقم١٠١٧، ٧٠٥/٢.

عمل به قوم بعده قيل: هو الذي سنه، والأصل فيها الطريقة والسيرة، فهي الطريقة المحمود المستقيمة، ولذلك قيل: فلان من أهل السنة، معناه من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق[1]، وقد تكرر في الحديث السالف ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيه الطريقة والسيرة[2]، وهو ما ذهب إليه ابن فارس كذلك بقوله: (سنَّ: السين والنون أصل واحد مطرد وهو جريان الشيء واضراده في سهولة، والأصل في ذلك قولهم: سننت الماء على وجهي أسنه سناً إذا أرسلته إرسالاً، ومما اشتق منه السنة وهي السيرة، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرته)[3]، وسن فلان طريقاً من الخير بسنه إذا ابتدأ أمراً في البر لم يعرفه قومه فاستنوا به وسلكوه[4]، والسنة من الله حكمه وأمره ونهيه في خليقته، أي شريعته[5].

وسنة كل أحد ما عهدت منه المحافظة عليه والإكثار منه، كان ذلك في الأمور الحميدة أو غيرها[6]، وقد يستأنس لشمولها الطريقة الحسنة أو القبيحة بورودها في القرآن والسنة بهذا المعنى حيث قال تعالى:(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ)[7]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لتتبعُن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع...)[8].

ويظهر مما سبق ذكره أن معنى السنة في اللغة يدور على معانٍ منها الطريقة والسيرة وقد تكون في الخير والشر، كما هو استعمالها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وعلى ذلك فسنة كل أحد هي طريقته التي يتبعها ومنهجه وسيرته التي يسير عليها عادة في أمر الدين أو في غيره من الأمور الحميدة أو الذميمة وسنة رسول

---

(1) لسان العرب، لابن منظور ٢٨٠/٧.
(2) نفس المرجع ٢٢٥/١٣.
(3) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ٦٠/٣-٦١.
(4) لسان العرب ٢٢٦/١٣.
(5) انظر: محيط المحيط، بطرس البستاني، ص١٠١٣، لسان العرب، لابن منظور٢٨٠/٧.
(6) انظر: المعجم الوسيط ٤٥٦/١.
(7) سورة الأنفال، الآية (٣٨).
(8) أخرجه البخاري،كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة،باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لتتعن سنن من كان قبلكم،حديث رقم٧٣٢٠ ،فتح الباري٣٦٤/١٣ .

الله صلى الله عليه وسلم هي طريقته في الدين ومنهجه الذي سار عليه في حياته والذي أصبح من بعده طريق يستن به ومنهج يتبع من بعده.

وأما السنة في الاصطلاح الشرعي لأهل العلم فقد اختلفت اطلاقاتها على حسب اختلاف فنونهم وعلومهم ومقاصدهم وأغراضهم، وعلى ذلك فمدلول السنة عند المحدثين غيرها عند الفقهاء أو الأصوليين، ولذلك سنرى مدلول معناها من خلال أبحاثهم، فعلماء الحديث إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإمام الهادي، الذي أخبر الله عنه انه أسوة لنا وقدوة، فنقلوا كل ما يتصل به من سيرة وخلق، وشمائل، وأخبار، وأقوال، وأفعال سواء أثبت ذلك حكماً شرعياً أم لا، وأما علماء الأصول إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرع الذي يضع القواعد للمجتهدين من بعده، ويبين للناس الأحكام الشرعية بأقواله وأفعاله، وتقريراته التي تثبت الأحكام الشرعية[1]، وأما علماء الفقه إنما بحثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ضوء أقواله وأفعاله ودلالتها على حكم شرعي، وهم يبحثون عن حكم الشرع في أفعال العباد وجوباً، أو حرمة، أو إباحة أو غير ذلك[2].

فالسنة في اصطلاح المحدثين هي: (كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلقية، أو خُلقية، أو سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة كتحنثه في غار حراء أم بعدها، والسنة بهذا المعنى مرادفة للحديث النبوي)[3].

وأما السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه فهي: (كل ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم غير القرآن الكريم من قول، أو فعل، أو تقرير، مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي)[4]، والسنة بهذا المعنى هي المرادة من مقصود بحثنا لمعنى السنة كمصدر ثاني من مصادر الشريعة من حيث دلالتها على الأحكام الشرعية والاعتقادية وغيرها.

---

(1) انظر: السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، ص١٥.

(2) انظر: نفس المرجع، ص١٦، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف د.مصطفى السباعي، دار الوراق، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)، ص٦٥.

(3) المرجع السابق،ص ١٥، ١٦

(4) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ص١٦، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف د.مصطفى السباعي، ص٦٥، إرشاد الفحول، للشوكاني ١/١٥٦.

أما القول فهو أحاديثه صلى الله عليه وسلم التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، فترتب على ذلك حكم شرعي، كقوله صلى الله عليه وسلم: (لا وصية لوارث)[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار)[2]، وأما الفعل فهو أفعاله التي نقلها إلينا الصحابة مثل أدائه الصلوات الخمس بهيئاتها وأركانها، وأدائه صلى الله عليه وسلم مناسك الحج، وقضائه بالشاهد واليمين ونحو ذلك[3]، وهذه هي السنة الفعلية.

وأما التقرير فكل ما أقره الرسول صلى الله عليه وسلم، مما صدر عن بعض أصحابه من أقوال وأفعال، بسكوت منه وعدم إنكار، أو بموافقته وإظهار استحسانه وتأييده، فيعتبر ما صدر عنهم بهذا الإقرار والموافقة عليه صادراً من الرسول صلى الله عليه وسلم[4]، ومن ذلك إقراره للرجلين الذين كانا في سفر وليس معهما ماء فحضرت الصلاة فتيمما صعيداً طيباً، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فأعاد أحدهما الصلاة والوضوء ولم يعد الآخر، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال للذي لم يعد الصلاة: (أصبت السنة وأجزأتك صلاتك)، وقال للذي توضئ وأعاد (لك الأجر مرتين)[5].

ومنه أيضاً إقراره لاجتهاد الصحابة في أمر صلاة العصر في غزوة بني قريظة، حيث قال لهم: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة)[6].

ففهم بعضهم هذا النهي على حقيقته، فأخرها إلى ما بعد المغرب، وفهمه بعضهم على أن المقصود حث الصحابة على الإسراع فصلاها

---

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١٨٦/٤، ٢٦٧/٥.

(2) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣١٣/١، أخرجه ابن ماجة في سننه، باب من بنى في حقه ما يضير بجاره، كتاب الأحكام، حديث رقم٢٣٤١، ٣٣٣/٢، أخرجه ابن ماجة في سننه، كتاب الأحكام، باب من بني في حقه ما يضر بجاره، حديث رقم٢٣٤١، ٣٣٣/٢.

(3) السنة قبل التدوين، ص١٧، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٦٥.

(4) السنة قبل التدوين، ص١٧، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، السباعي، ص٦٦.

(5) أخرجه الحاكم في مستدركه ١٧٨/١.

(6) أخرجه البخاري، "فتح الباري"، كتاب الخوف، باب صلاة الطالب والمطلوب، حديث رقم٩٤٦، ٤٣٦/٢.

في وقتها، وبلغ النبي عليه الصلاة والسلام ما فعل الفريقان، فأقرهما ولم ينكر على أحدهما[1]، وهذه هي السنة التقريرية.

وأما السنة في اصطلاح الفقهاء فهي: (كل ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن من باب الفرض ولا الواجب، فهي الطريقة المتبعة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، وقد تطلق السنة عند الفقهاء في مقابلة البدعة، وهي الأمر المستحدث، ثم أطلقت في الشرع على كل ما أحدثه الناس من قول وعمل في الدين وشعائره مما لم يؤثر عنه صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه)[2].

هذا هو معنى السنة في الاصطلاح، وأعني بالسنة في بحثي هذا كما يبدو واضحاً هو ما أراده علماء أصول الفقه بوصف أن الرسول صلى الله عليه وسلم هو المشرع وسنته هي المصدر الثاني لتلقي الأحكام الشرعية من بعد كتاب الله، خاصة وأن موضوع علم أصول الفقه هو الدليل ومنه السنة التي هي عبارة عن الأقوال التي هي الأحاديث والأفعال والتقريرات التي كانت طريقته في الدين التي أمرنا بإتباعها[3].

وبالتالي فالسنة بهذا المفهوم هي التي ينبغي أن يبحث عن حجيتها ومكانتها في التشريع ودلالتها على الأحكام الشرعية وبالأخص الأحكام الاعتقادية التي هي موضوع دراستنا هذه.

فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم هي طريقته المتبعة في بيان هذا الدين التي ترك عليها أصحابه قولاً وفعلاً وتقريراً، وهي الطريق الصحيح لمعرفة الأمور الشرعية من بعد كتاب الله عزّ وجل[4]، وهي راجعة في معناها إلى القرآن لأنها بيان له، ثم لا تجد في السنة أمراً إلا

---

(1) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ص١٧.

(2) السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، ص١٨، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، للسباعي، ص٦٦.

(3) انظر: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، تأليف د. شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، الجزء الثاني، ص١٩، حجية السنة، عبدالغني عبدالخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م)، ص٦٨.

(4) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للإمام اللالكائي، المتوفي سنة٤١٨هـ، ص٥٠-٥١.

وقد دلّ القرآن على معناه دلالة إجمالية أو تفصيلية فدلّ على أن قوله صلى الله عليه وسلم وإقراره راجع إلى القرآن[١].

وعلى ذلك فالسنة موافقة للقرآن وواجبة الإتباع وهي حجة شرعية لا يمكن مخالفتها وهي بذلك لا تستعمل إلا فيما هو ممدوح شرعاً[٢]، وبالتالي تتوافق مع المعنى اللغوي الذي سبق ذكره[٣]، وأهل السنة هم أهل هذه الطريقة المستقيمة المحمودة وهم بذلك جمهور المسلمين المتمسكين بالسنة النبوية كمصدر ثانٍ بعد القرآن الكريم، فهم يسيرون على هدى النبي صلى الله عليه وسلم وهدى أصحابه علماً وعملاً، واعتقاداً، وقولاً، وأدباً، وسلوكاً[٤].

ويظهر مما سبق ذكره مدى التوافق الوثيق بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى السنة، فكما استعمل أهل اللغة كلمة السنة بمعنى الطريقة والسيرة كذلك استعملت في الشرع بهذا المعنى حيث جاءت بمعنى الطريقة والعادة كما في قوله تعالى: (يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)[٥]، يعني طرائقهم الحميدة[٦]، ونقلت الكلمة من عمومها إلى المعنى الاصطلاحي عند المسلمين لتشمل طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم وشريعته التي كان عليها هو وأصحابه السالمة من الشبهات والشهوات في جميع أمور الدين وخاصة قضايا الاعتقاد مما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر.

والسنة بهذا المفهوم هي حجة شرعية يعتمد عليها في تقرير قضايا الاعتقاد وغيرها من بعد كتاب الله تعالى بجميع أنواعها القولية والفعلية والتقريرية[٧].

والدليل على حجيتها هو إجماع المسلمين على أن ما صدر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وكان

---

(١) انظر: الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، ص١٢.
(٢) انظر: البدعة وتحديدها وموقف الإسلام منها، تأليف عزت علي عيد عطية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، ص١٢٢.
(٣) انظر: معنى السنة في اللغة في البحث، ص(٢١).
(٤) عقيدتنا الإسلامية، د. محمد المكاوي وآخرون، الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص١١.
(٥) سورة النساء، الآية (٢٦).
(٦) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٤٥٣/١.
(٧) انظر: المستصفى، للغزالي، ص١٠٣.

مقصوداً به التشريع والاقتداء ونقل إلينا بسند صحيح يفيد القطع أو الظن الراجح بصدقه يكون حجة على المسلمين ومصدراً تشريعياً تستنبط منه الأحكام الشرعية لأفعال المكلفين[١].

وهي بذلك مصدراً مستقلاً بتشريع الأحكام كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام، وقد ثبت عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)[٢]، أي أوتيت القرآن وأوتيت مثله من السنة التي لم ينطق بها القرآن[٣]، لا فرق في ذلك ما بين الأحاديث المتواتر وأحاديث الآحاد من حيث الاحتجاج بها عند صحتها ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم[٤].

وبذلك يتضح أن مصدر التلقي في مسائل العقيدة والاستدلال عليها أو غيرها هو كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالكتاب والسنة هما الأساس المعتمد في مسائل العقيدة وغيرها ولا يجوز لمسلم أن يعدل عنهما إلى ما سواهما في جميع الأحكام الشرعية وخاصة أحكام العقيدة[٥].

ويتقرر من العرض السابق أن السنة النبوية حجة شرعية في تقرير الأحكام وهي واجبة الإتباع كالقرآن في ذلك وأن هذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة، يقول ابن تيمية متحدثاً عن السلف الصالح: (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده)[٦]، ويقول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية: (فإنه ما سلم في دينه إلا من سلم لله عزّ وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه)[٧].

---

(١) انظر: علم أصول الفقه، تأليف عبدالوهاب خلاف، ص٣٣.
(٢) أخرجه أبوداود في سننه،كتاب السنة،باب في لزوم السنة،حديث رقم٤،٦٠٦/٤٦٠٦،١٩٧٢،وأخرجه الإمام أحمد في مسنده١٣١/٤
(٣) إرشاد الفحول، للشوكاني، ص١٥٦-١٥٧.
(٤) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم الظاهري ٥/٥.
(٥) عقيدتنا الإسلامية، د. محمد الملكاوي وآخرون، ص١٨.
(٦) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، ص٨٨.
(٧) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، المتوفي سنة (٧٣١هـ-٩٧٢هـ)، ص١٣٧.

فمصادر الدين الإسلامي هي القرآن والسنة فمنهما تستنبط جميع الأحكام الشرعية والاعتقادية وما سواهما من مصادر ترد وترجع إليهما، ولأن أحكام العقيدة أحكام توقيفية في الغالب فلنكتفي بهذين المصدرين في مثل هذه القضايا.

ثانياً :أهم قواعد منهج السلف في الاستدلال على مسائل العقيدة.

ويشتمل على ثلاثة قواعد.

القاعدة الأولى: الاعتماد على منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة

القاعدة الثانية: موافقة صريح العقل لصحيح النقل.

القاعدة الثالث: اشتمال القرآن والسنة على جميع مسائل أصول الدين.

القاعدة الأولى: الاعتماد على منهج القرآن في عرض قضايا العقيدة.

١ــ تقرير القرآن لقضايا العقيدة بالأدلة الكونية.

إن للقرآن الكريم منهجه الخاص به في تقرير عقيدة التوحيد، وذلك لأنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وسنتعرض هنا للمنهج الذي سلكه القرآن الكريم في تقرير عقيدة التوحيد وهي محاولة لبيان الخطوط العريضة للطريقة التي سلكها القرآن لتقرير قضايا الاعتقاد خاصة وأن القارئ لكتاب الله تعالى يشعر بأن هناك أسلوباً فريداً ومنهجاً سهلاً وعرضاً ميسراً لعقيدة التوحيد يترك أثره العميق في النفس الإنسانية ولا عجب في ذلك لأنه كلام الله رب العالمين[١]، ولذلك فالاعتماد على منهج القرآن الكريم في عرض العقيدة الإسلامية يعتبر قاعدة من قواعد المنهج السلفي للاستدلال على مسائل الاعتقاد وهو منهج بلا شك بعيد عن المراء والجدل والكلامي والفلسفة والأقيسة المنطقية المعقدة فهي جميعاً بخلاف منهج القرآن[٢].

فالقرآن سلك في أسلوبه لعرض العقيدة منهجاً تنوعت أساليبه فهو تارة يخاطب الفطرة وتارة يخاطب العقول وتارة يضرب الأمثال، وتارة يستخدم أسلوب التعجيز ليشعر الإنسان بالعجز أمام قدرة الله تعالى ويمكننا أن نتناول هذه الأساليب بشيء من التفصيل وفي مقدمتها تقرير القرآن لقضايا العقيدة بالأدلة الكونية.

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف د. محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل مكاوي، مكتبة الرشد، الرياض (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص١٣٩.

(٢) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، تأليف جمعة أمين عبدالعزيز، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الثانية (١٤١١هـ-١٩٩١م)، ص١٣.

وإنما نتناول الآيات القرآنية الكونية من حيث بساطتها ووضوحها وأن النظر فيها يؤدي حتماً إلى معرفة الله ووحدانيته، لأن الناظر إلى الآيات القرآنية الكونية يرى أنها تشتمل على دليلي الخلق والإبداع والعناية بهذا الكون وهما دليلا الشرع[1].

فأما دليل الخلق أو الإبداع فمبني على أصلين هما: أن جميع الموجودات مخلوقة، وأن كل مخلوق لابد له من خالق، وبذلك يعتمد هذا الدليل على إثارة التأمل والتفكر في خالق الموجودات جميعاً ومن ثم الاستدلال بذلك على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، ولذلك جاءت الآيات لتلفت النظر إلى مثل هذا الدليل حيث قال تعالى:(وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (١١٦) بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[2]، وقوله تعالى:(إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ (٣) وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) [3].

وملخص هذا الدليل أن كل ما في الكون مخلوق، والمخلوق لابد له من خالق لأنه يستحيل أن يكون خلق من غير خالق، ولهذا كان كل رسول يقول لقومه:(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[4].

وقد كان المشركون يؤمنون بهذا الدليل من حيث دلالته على توحيد الربوبية ولا يؤمنون بدلالته على توحيد الألوهية، قال تعالى عنهم:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[5]، وقال تعالى:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[6].

إلا أن القرآن قد أقام الحجة عليهم بهذا التوحيد، توحيد الربوبية ليكون موصلاً لهم لتوحيد الألوهية حيث يقول تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(1) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف د. محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل مكاوي، مرجع سابق، ص١٤١-١٤٢.
(2) سورة البقرة، الآيتان (١١٦-١١٧).
(3) سورة الجاثية، الآيتان (٣-٤).
(4) سورة إبراهيم، الآية (١٠).
(5) سورة العنكبوت، الآية (٦١).
(6) سورة العنكبوت، الآية (٦٣).

اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[1]،وقال تعالى:(رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا) [2].
والمعنى كما أنه المتفرد بربوبية المشرق والمغرب وربوبية السموات والأرض وليس لذلك رب سواه فكذلك ينبغي أن لا يتخذ إله سواه[3].

وهكذا يقرر القرآن توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية، فيقرر كونه معبوداً واحداً بكونه خالقاً ورازقاً وحده[4].

فالمتأمل لمنهج القرآن في عرض العقيدة الإسلامية يجد منهاجاً واضحاً للتفكير ودعوة ميسرة للتدبر والتأمل لأعمال العقل والسمع والبصر جميعاً وغير ذلك من الحواس ليتعرف الإنسان على ربه أولاً ثم يستقيم بعد ذلك، ولذلك جاءت دعوة القرآن للتأمل والتفكر في الأنفس والآفاق للوصول إلى التوحيد الخالص، قال تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[5]، أي في هذه الأشياء جميعاً دلالات بينة وواضحة على وحدانية الله تعالى وقدرته[6]، وعلى نسق هذا الأسلوب الداعي إلى التدبر والتأمل في الأنفس والآفاق جاء قوله تعالى:(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)[7][8].

وقوله تعالى:(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) [9]، فالقرآن كله دعوة إلى التدبر والتفكر ليتعرف الإنسان على ذاته وعلى هذا الكون الفسيح من حوله ليصل إلى معرفة الله تعالى وتوحيده وهي دعوة من الله سبحانه وتعالى للوصول إلى الحق في أبسط صوره بعيداً عن الأقيسة المنطقية المعقدة وبذلك يثير العقل للتفكير ويشد الانتباه

---

(1) سورة البقرة، الآية (٢١).
(2) سورة المزمل، الآية (٩).
(3) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٤٣.
(4) نفس المرجع، ص١٤٤.
(5) سورة البقرة، الآية (١٦٤).
(6) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢٧٤/١.
(7) سورة الذاريات، الآيتان (٢٠-٢١).
(8) انظر: المرجع السابق، ص٢٦١-٢٦٢.
(9) سورة محمد، الآية (٢٤).

وهو لا يطلب إجابة عن ذلك باللسان، وإنما يترك داخل الإنسان لينطق بالحقيقة الماثلة أمامه كما في قوله تعالى:(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا(١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)[١]، فيجعل من هذه المقدمات العقلية إثباتاً ليوم البعث(إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا)[٢]، فلا يملك الإنسان حيال هذه التساؤلات إلا أن يقول حقاً حقاً صدق ربنا[٣].

وانظر إلى قوله تعالى:(أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦)وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ(٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ)[٤]، وقوله تعالى:(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[٥] كل ذلك ليتجاوب الإنسان مع هذا الكون بمجرد النظر والتأمل ليقوده إلى معرفة الله وتوحيده[٦].

وكما وجهنا المولى عزّ وجل للتفكر والنظر والتأمل والتدبر في الكون وما فيه، كذلك وجهنا إلى النظر إلى الإنسان وخلقه فقال تعالى:(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ)[٧]، إنها دعوة من الله بل أمر منه سبحانه وتعالى بالتفكر والتدبر في خلق الإنسان، فكما جعل نتيجة النظر والتأمل في خلق السموات والأرض أحد الأدلة على قدرة الله لإعادة الخلق والبعث والحساب، فإنه جعل أيضاً النظر في خلق الإنسان والتأمل في خلقه دليلاً أيضاً على ذلك وفي ذلك أكبر دليل على وحدانية الله تعالى، بل ويتقرر ذلك في قوله تعالى:(أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَىٰ (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ

---

(١) سورة النبأ، الآيات (٦-١٦).
(٢) سورة النبأ، الآية (١٧).
(٣) منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، مرجع سابق، ص١٢٢-١٢٣.
(٤) سورة "ق"، الآيات (٦-٨).
(٥) سورة الغاشية، الآيات (١٧-٢٠).
(٦) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، ص١٢٤.
(٧) سورة الطارق، الآيات (٥-٧).

فسَوَّىٰ (٣٨) فجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ (٣٩) أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ)[١].

بهذه السهولة يعرض القرآن عقيدته وبهذه البساطة يشد الإنسان بفطرته أمام المنطق الذي تعرفه ولا تملك أن تجادل فيه، وصدق سبحانه وتعالى إذ قال:(أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَلْ لَا يُوقِنُونَ) [٢][٣]

وهكذا نجد أن القرآن الكريم يتخذ من النظر في الآيات الكونية منهجاً وطريقاً لعرض الأصول الإيمانية لعقيدته والتدليل عليها والدعوة إليها.

وأما دليل العناية فهو أحد الأدلة التي اشتملت عليها الآيات القرآنية الكونية ويسمى دليل النظام أو التناسق ويشير في مجمله إلى أن الذي نظم الكون وربط بين أجزائه بحيث يكمل بعضها بعضاً وقدر كل شيء فيه تقديراً هو الله الواحد الأحد[٤]، ولذلك وردت الإشارة إليه في القرآن الكريم قال تعالى:(وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ (٣١) وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ (٣٢) وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ)[٥]

(وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) فذكر الفجاج في الجبال وهي الفجوات بين حواجزها العالية...، ذكر هذه الفجاج هنا مع الإشارة إلى الاهتداء يصور الحقيقة الواقعة أولاً، ثم يشير من طرف خفي إلى شأن آخر في عالم العقيدة، فلعلهم يهتدون إلى سبيل يقودهم إلى الإيمان، كما يهتدون في فجاج الجبال

(وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا) والسماء كل ما علا، ونحن نرى فوقنا ما يشبه السقف، والقرآن يقرر أن السماء سقف محفوظ، محفوظ من الخلل بالنظام الكوني الدقيق، ومحفوظ من الدنس باعتباره رمزاً للعلو الذي تتنزل منه آيات الله، (وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ)، والليل والنهار

---

(١) سورة القيامة، الآيات (٣٦-٤٠).
(٢) سورة الطور، الآيتان (٣٥-٣٦).
(٣) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص١٣١-١٣٧.
(٤) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف د.محمد أحمد محمد عبدالقادر ملكاوي، ص١٤٧.
(٥) سورة الأنبياء، الآيات (٣١-٣٣).

ظاهرتان كونيتان، والشمس والقمر جرمان هائلان لهما علاقة وثيقة بحياة الإنسان في الأرض، وبالحياة كلها...، والتأمل في توالي الليل والنهار، وفي حركة الشمس والقمر، بهذه الدقة التي لا تختل مرة واحدة، جدير بأن يهدي القلب إلى وحدة الناموس، ووحدة الإرادة، ووحدة الخالق المدبر القدير[1].

وهكذا يتقرر أنه لا يوجد شيء في الكون إلا في محله المناسب وبالقدر المناسب، فكل ما فيه في غاية الحكمة والعناية والإتقان، والناظر لهذا الإتقان العجيب والتنظيم المدهش في كل شيء في الأرض وفي السماء وما بينهما بحيث أي تغيير فيه يؤدي إلى الخلل والفساد لا يسعه إلا أن يؤمن بوحدانية الله تعالى[2].

وهذا الإتقان وهذه العناية بالكون وما فيه هي التي يقول عنها ابن رشد: (إن النظر في طبيعة الكون وما يحتوي عليه من ظواهر يرشدنا إلى أن وجود كثير من الأشياء والكائنات كأنما قصد به الإنسان، وذلك لأن هذه الكائنات أو الأشياء تلائم حياته، وليس يمكن أن تكون هذه الملاءمة وليدة الصدفة، وحقيقة أثبت العلم الحديث أن هذا الخلق المحكم الذي يحقق غايات محددة لا يمكن أن يصدر إلا عن علم وتدبير وحكمة)[3].

وهكذا نرى أن هذه الآيات القرآنية التي ذكرناها سابقاً وآيات أخرى كثيرة تلفت نظر الإنسان لما في هذا الكون من التنظيم الدقيق والتناسق بين أجزائه في أقصى غايات الدقة والإتقان ليدل دلالة قاطعة على الدقة والعناية التامة بهذا الكون وما فيه، وأن إلهاً واحداً قادراً هو الذي نظم كل ما فيه أحسن تنظيم وهكذا يستمر القرآن في عرض عقيدته والاستدلال عليها في أسلوب سهل وميسر وفي غاية الوضوح.

٢ـــ تقرير القرآن لقضايا العقيدة بأسلوب ضرب الأمثال.

من الأساليب التي استعملها القرآن الكريم لتقرير عقيدة التوحيد أسلوب ضرب الأمثال، فهو أحد الأساليب التي استخدمها القرآن لعرض عقيدته وهو أسلوب يخاطب العقل السليم فيضرب له الأمثال للتفكر والتدبر والاعتبار كما قال تعالى:(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ

---

(١) المرجع السابق ٤/٢٣٧٧.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص١٤٨، دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٢٠٨-٢٠٩.

(٣) مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ص٢٥.

لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[1]هي دعوة إلى العقل المجرد ليتفكر ويتدبر ويعرف أن له خالقاً خلقه بعيداً عن الهوى والظن ليصل إلى الحقيقة في أبهى وأجمل صورها، ولهذا كان ضرب الأمثال للناس في القرآن لأن فيه فوائد كثيرة كالتذكير والوعظ والحث والزجر والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس[2]، ذلك لأن النفس تأنس بالنظائر والأشباه الأنس التام وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظر، وكلما ظهرت لها الأمثال ازداد المعنى ظهوراً ووضوحاً، وقد أمتن الله سبحانه وتعالى على عباده بأن ضرب لهم الأمثال فقال تعالى:(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)[3]، وقال تعالى:(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا)[4]، وقال تعالى:(وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ)(٥) وقال تعالى:(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[6].

يقول ابن كثير: (هذه الآيات عامة في من أنكر البعث، أي أولم يستدل من أنكر البعث بالبدء على الإعادة، فإن الله ابتدأ خلق الإنسان من سلالة من ماء مهين فخلقه من شيء حقير ضعيف، فالذي خلقه من هذه النطفة أليس بقادر على إعادته بعد موته، ولذلك قال:(وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ)أي استبعد إعادة الله تعالى للأجساد والعظام الرميمة ونسى خلقه ونفسه في حين أن الله خلقه من العدم إلى الوجود، ولذلك جاء الجواب:(قُلْ

---

(١) سورة الحشر، الآية (٢١).
(٢) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف د.محمد أحمد محمد ملكاوي، ص١٦٢، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، تأليف جمعة أمين عبدالعزيز، ص٧٩-٨٠.
(٣) سورة الإسراء، الآية (٨٩).
(٤) سورة الكهف، الآية (٥٤).
(٥)سورة العنكبوت،الآية(٤٣)
(٦)سورة يس،الآيتان٧٨،٧٩

يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ)[1]، فبهذا الأسلوب المبسط قرر القرآن عقيدة البعث والجزاء يوم الحساب.

ويقرر كذلك حقيقة الألوهية وخصائصها فيقول تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُونَ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) ([2].

ثم يضرب لهم مثلين للسيد المالك الرازق والمملوك العاجز الذي لا يملك ولا يكسب، لتقريب الحقيقة الكبرى التي غفلوا عنها، حقيقة أن ليس لله مثال، وما يجوز أن يسووا في العبادة بين الله وأحد من خلقه وكلهم له عبيد (ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ)(وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ)، والمثل الأول مأخوذ من واقعهم، فقد كان لهم عبيد مملكون، لا يملكون شيئاً، ولا يقدرون على شيء، وهم لا يسوون بين العبد المملوك العاجز والسيد المالك المتصرف، فكيف يسوون بين سيد العباد ومالكهم وبين أحد أو شيء مما خلق، وكل مخلوقاته له عبيد، والمثل الثاني يصور الرجل الأبكم الضعيف البليد الذي لا يدري شيئاً ولا يعود بخير، والرجل القوي المتكلم الآمر بالعدل، العامل المستقيم على طريق الخير، ولا يسوي عاقل بين هذا وذاك، فكيف يمكن التسوية بين صنماً أو حجراً وبين الله سبحانه وهو القادر العليم، الآمر بالمعروف، الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا شك أن في مثل هذا الأسلوب تقرير لحقيقة الألوهية ومعناها وما يجب أن يكون لها وما تختص به دون سواها.

ومن ذلك قوله تعالى:(مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ)[3]

وهكذا يقرر القرآن وحدانية الله تعالى وتوحيده وأن قوة الله وحدها هي القوة، وولاية الله وحدها هي الولاية وما عداها فهو واهن ضئيل هذيل، مهما علا واستطال، ومهما تجبر وطغى، ومهما ملك من وسائل

([1]) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥٥٨/٣.
([2]) سورة النحل، الآيتان (٧٥-٧٦).
([3]) سورة العنكبوت، الآية (٤١).

البطش والطغيان والتنكيل إنه في كل ذلك أمام قدرة الله عزّ وجل كالعنكبوت وما تملك العنكبوت من القوى ليست سوي خيوط العنكبوت.

وفي ذلك يقول الإمام الطبري: (مثل الذين اتخذوا الآلهة والأوثان من دون الله أولياء يرجون نصرتها ونفعها عند حاجتهم إليها فهي لا تنفعهم، فهي في ذلك كمثل العنكبوت في ضعفها وقلة احتيالها لنفسها اتخذت بيتاً لنفسها كيما يكنها ويحفظها فلم يغني عنها شيئاً عند حاجتها إليه، وكذلك هؤلاء المشركون لم يغني عنهم حين نزل بهم أمر الله وحل بهم سخطه أولياؤهم الذين اتخذوهم من دون الله شيئاً ولم يدفعوا عنهم ما أحل لله بهم من سخطه بعبادتهم إياهم، فذلك مثل ضربه الله لمن عبد غيره، كمثل بيت العنكبوت واهن، ضعيف، لا حول ولا قوة ولا نفع له لمن اتخذ إلهاً من دون الله)[1].

ويتقرر من ذلك وحدانية الله تعالى وتفرده بالخلق والملك والنفع والضر دون غيره وأن الجميع تحت ملكه وسلطانه وقدرته.

ويظهر مما سبق أن الله سبحانه وتعالى لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها، فهو سبحانه لا يستحي من الحق أن يذكر شيئاً مما قل أو كثر ولا أن يضرب مثلاً ما بأي شيء كان صغيراً أو كبيراً ولو كان في الصغر كالبعوضة والذبابة والعنكبوت، لأنه سبحانه هو الذي خلقه ولذلك كان هذا التحدي الإلهي للناس جميعاً، وكان هذا النداء الرباني الذي تسمعه جميع الدنيا بما فيها حيث يقول تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣) مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)[2]، وهكذا يعلن المولى عزّ وجل في الآفاق على الناس جميعاً، إعلاناً مدوياً عاماً عن ضعف الآلهة التي يتخذها الناس من دون الله، يعلن المولى عزّ وجل عن هذا الضعف في صورة مثل مضروب ومعروض للأسماع والأبصار في مشهد يجسد الضعف البشري المزري ويمثله أبرع تمثيل ليلفت الانتباه إلى أن استحالة خلق الذباب في حقارته وصغره، كاستحالة خلق الجمل وغيره من مخلوقات، ذلك لأن الذباب يحتوي على ذلك السر المعجز سر الحياة، فيستوي في استحالة خلقه مع الجمل وغيره، إنه تقرير وتقريع يقود أصحاب العقول إلى

---

(1) جامع البيان، للطبري ١٠/١٤٢.
(2) سورة الحج، الآيتان (٧٣-٧٤).

وحدانية الله سبحانه وتعالى وتفرده بالخلق والعبادة في أسلوب قرآني معجز[1].

وهكذا يتقرر مما سبق أن أسلوب ضرب الأمثال في القرآن الكريم أحد الأساليب البارعة التي يتخذها المولى عزّ وجل لقرير قضايا العقيدة، فيضرب الأمثال للناس لتقودهم إلى معرفة الله تعالى وتوحيده.

٣ــ تقرير القرآن لقضايا العقيدة بالأدلة والبراهين العقلية.

جاء القرآن فسلك بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، وهو منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يسيروا عليه دون اختلاف ولا تناقض إلى قيام الساعة، وفي إطار هذا المنهج الإسلامي الذي رسمه القرآن نجد أن القرآن قد تعرض لقضايا الاعتقاد فتحدث عن مفهوم ومقام الألوهية وما أذن الله لنا أو ما أوجب علينا أن نعلمه إلا أنه لم يطلب التسليم بذلك دون تفكر أو تدبر أو نظر، وإنما خاطب العقل، واستنهض الفكر، وعرض نظام الكون وما فيه من الإحكام والإتقان على أنظار ومدارك العقول، وطالبها بالإمعان فيه لتصل بذلك إلى اليقين عن حجة وإقناع ثم تسلم بعد ذلك بصحة ما ذهب إليه ودعا إليه، ووفق هذا المسلك تآخي العقل والدين لأول مرة في كتاب مقدس على لسان نبي مرسل، بتصريح لا يقبل التأويل، وتقرر بين المسلمين كافة إن من قضايا الدين ما لا يمكن الاعتقاد به إلا من طريق العقل[2]، وذلك كالعلم بوجود الله، وبقدرته على إرسال الرسل، وعلمه بما يوحي به إليهم، وإرادته لاختصاصهم برسالته، وما يتبع ذلك مما يتوقف عليه فهم معنى الرسالة، وكالتصديق بالرسالة نفسها، كما أجمعوا على أن الدين إن جاء بشيء قد يعلو على الفهم، فلا يمكن أن يأتي بما يستحيل عند العقل[3].

ولذلك فقد دافع القرآن الكريم عن العقل، ورفع قدره ومكانته، وسار على ذلك علماء الأمة الذين يدافعون عن العقل أولاً، وعن قيمة إدراكاته، ليتخذوا من ذلك طريقاً للاستدلال بما فيه من مبادئ، بل ويرون أن أي تشكيك في قيمة العقل، أو قيمة الإدراك الحسي هو

---

(١) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، تأليف جمعة أمين عبدالعزيز، ص٧٩-٨٠ ومابعدها، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، ص١٧٠ وما بعدها.

(٢) رسالة التوحيد، تأليف الشيخ محمد عبده، المتوفي سنة (١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ص٩.

(٣) رسالة التوحيد، تأليف الشيخ محمد عبده، ص١٠.

ذريعة للتشكيك فيما قام على أساسه من الاستدلال وهو أمر يمس قضايا العقيدة[1].

ودفاع القرآن الكريم عن العقل نابع من مسلمة واضحة هي أن الشك المطلق طريق الإلحاد، واليقين بالمعرفة الناتجة عن العقل وأدواته، أول نصير للدين الذي جاء به القرآن الكريم، ويكفي في تكريم القرآن للعقل أن جعله مناط التكليف، فالعقل لا يهتدي إلا بالشرع، والشرع لا يتبين إلا بالعقل[2]، وقد وردت الآيات القرآنية داعية لإعمال العقل والفكر بعبارات مثل قوله تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)[3]، وقوله تعالى:(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَىٰ)[4]، وقوله تعالى:(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ)[5]، بل قد نهى القرآن عن إتباع الظن أو إتباع ما لم يقم عليه دليل فقال تعالى:(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا)[6]، وكذلك اعتمد المسلمون في نشر دعوة الإسلام على العقل، وميزاته، والاعتراف بأنه وسيلة للمعرفة، وطريق الوصول إلى الحقيقة، وترسيخ أركان العقيدة في النفوس على أساس من الحوار والمناقشة والإقناع، وفي نطاق الاجتهاد والتجديد والتفاعل مع مقتضيات الحياة ورعاية مصالح الناس، جعل العلماء العقل سبيلاً لاستنباط الأحكام التشريعية، بالاعتماد على إدراك مقاصد الشريعة وغاياتها السامية، فإذا كان العقل رشيداً، وإعماله سديداً، كان دليلاً مقبولاً في الاستدلال والاستنباط في ضوء التوجيهات والمبادئ الربانية[7].

وعندما نتحدث عن مكانة العقل في الإسلام لا نعني بذلك ما عناه المعتزلة من إسناد كل شيء إلى العقل حتى جعلوا العقل حاكماً على الشرع أو النصوص ومقدماً عليها وإنما نعني بذلك إبراز الأدلة السمعية التي نبهت وأيقظت بكل بساطة ووضوح وبعد عن الجدل

---

(1) انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٤١.
(2) نفس المرجع، ص١٤٢.
(3) سورة آل عمران، الآية (١٩٠).
(4) سورة طه، الآية (٥٤).
(5) سورة البقرة، الآية (٢١٩).
(6) سورة الإسراء، الآية (٣٦).
(7) انظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص١٦-١٨.

العظيم، ومن ثم سلكت به أقرب الطرق وأيسرها لبيان حقيقة وحدانية الله ووجوب إفراده بالعبادة لا شريك له، ذلك لأن أدلة القرآن ليست سمعية خبرية فحسب وإنما هي عقلية كذلك لأنها تخاطب العقل أولاً وآخراً، كما أن كل دليل سمعي جاء في القرآن فإنما يكون تدبره وفهمه والتفكير فيه بالعقل[1].

وبهذا يتقرر أن أدلة القرآن كلها سمعية عقلية، سمعية لورودها في القرآن، وعقلية لأن للعقل قدرة على التفكير فيها والنظر والاعتبار منها إذا سلك المسلك الصحيح في ذلك[2].

ومن الآيات التي تقرر المفهوم السابق قوله تعالى:(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ)[3]، يقول سيد قطب: (ولقد كان القرآن يحاور أصحاب تلك الوثنية الساذجة، وتلك الجاهلية الصريحة، ويخاطب عقولهم البشرية لإيقاظها من تكل الغفلة التي لا تليق بالعقل البشري، فينبه إلى ذلك المثل الذي ضربه لهم وصور فيه مدارج الشرك في النفس(أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ) أي أن الذي يخلق هو الذي يستحق أن يعبد، وآلهتهم المدعاة كلها لا تخلق شيئاً بل هي تُخلق، فكيف يشركون بها؟ كيف يجعلون لها شركاً مع الله في نفوسهم وفي أولادهم)[4].

ويبدو واضحاً أن هذا الدليل مفاده أن كل شيء مخلوق لله مملوك له وهذه الأصنام لم تخلق شيئاً ولا تملكه، فلا تصح إذن عبادتها من دون الله، لأن الخالق المالك هو الذي يجب أن يفرد وحده بالعبادة[5].

وهكذا يعرض القرآن ويقرر عقيدته بالأدلة والبراهين العقلية الواضحة التي لا تدع مجالاً للشك، أو الظن، أو الحيرة والتردد.

٤ـ تقرير القرآن لقضايا العقيدة بأسلوب مخاطبة الفطرة.

إن أسلوب مخاطبة الفطرة هو أحد الأساليب التي ساقها القرآن الكريم لتقرير عقيدته وهو يتحدث عن حقيقة الألوهية وخصائصها وصفاتها ويتحدث كذلك عن حقيقة العبودية وخصائصها وصفاتها، ثم أوضح العلاقة بين الحقيقتين، وربط بينهما بتصور واحد منطقي فطري

---

(١) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. ملكاوي، ص٢٥٩.
(٢) نفس المرجع، ص٢٦١.
(٣) سورة الأعراف، الآية (١٩١).
(٤) المرجع السابق ١٤١٤/٣.
(٥) عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د. ملكاوي، ص٢٦٢.

يتعامل مع بديهية الإنسان وفكره ووجدانه في سير وسهولة ليصل إلى حقيقة التوحيد الخالص ثم يتعلم بعد ذلك كيف يعرض عقيدته بأساليب مختلفة، يختار منها ما يناسب المدعو بغية إقناعه حتى يتأتى إيمانه عن إقناع، وتسليمه عن يقين، وبرهان الفطرة يعتبر من أول الأدلة والبراهين لأن جملة قضايا الاعتقاد تدور حول محور قضية وجود الله سبحانه وتعالى وهو أمر غريزي في الإنسان مفطور عليه[1]، كما قال تعالى:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا)[2].

والمقصود بالفطرة أن الإنسان سواء أكان عالماً أم جاهلاً لو جرد نفسه من آثار الوراثات المختلفة، ومحا من ذهنه كل ما يربطه بالبيئة والمجتمع من حوله، وكذلك المذهب الذي ينتمي إليه، ثم تفكر بعد ذلك في الكون وما فيه، وفي نفسه التي بين جنبيه، لاندفع بفطرته وطبيعته اندفاعاً اضطرارياً إلى القوة المدبرة والخالقة لكل ذلك، ليجد نفسه ساجداً خاشعاً أمام ربه العلي العظيم، وهذه هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها ولذلك نجد إن كل إنسان يشعر بفطرته بأن فوق الكائنات المحدودة المتناهية، كائناً غير محدود، ولا متناه، يهيمن على كل شيء، ويدير أمر كل شيء، وهو شعور ينبع من أعماق النفس الإنسانية، شعور يجده الإنسان في نفسه بغير تعلم ولا تلقين ولا اكتساب، وكلما كان الإنسان أسلم فطرة، وأزكى نفساً، شعر بأن وجود الله يملأ عليه أقطار نفسه، ويغمر كيانه كله، ويشعر بأنه غير محتاج إلى دليل على وجود ربه خارج عن ذاته وكيانه، بل يشعر أن وجود الله أظهر من كل شيء بل هو دليل كل شيء[3].

وهذا هو ما أثبتته شهادة التاريخ إذ أن شعوب الأرض كلها في القديم والحديث، مدنية وبدوية، نزل عليها كتاب سماوي أو لم ينزل قد فكرت في قوة عليا، أرجعت إليها الأمر فيما ينزل بها من خير أو شر، بل وتوجهت إليها تبعاً لذلك بالعبادة والتقديس[4]، وهذه هي الفطرة

---

(1) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٩٢، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص٥٠.

(2) سورة الروم، الآية (٣٠).

(3) انظر: الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، أصوله وفروعه، مقتضياته ونواقضه، تأليف د.محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ص١١٦-١١٧.

(4) الإيمان، د.محمد عبدالله الشرقاوي، ص١١٨.

التي أودعها الله خلقه يوم أن أشهدهم على أنفسهم قائلاً:(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا ۛ أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ)[1]، فهذه الفطرة إن لم تندس بأقذار الشرك ودنس الإلحاد والكفر تقر بوجوده سبحانه وتعالى من غير دليل مكتسب[2].

وهذه الفطرة هي التي تفسر الظاهرة التي لاحظها الباحثون في تاريخ أديان الأمم والشعوب حيث أنه من الممكن أن نجد مدناً بلا أسوار ولا ملوك ولا ثروة ولا آداب ولا مسارح، ولكن أحداً لم ير قط مدينة بلا معبد، أو مدينة لا يمارس أهلها عبادة[3].

هذه العبارة القديمة المتجددة صحيحة وهي تسجل أن الشعور الديني أمر ينبع من الفطرة ويعود إليها، بل أن قراءة التاريخ البشري شاهدة على ذلك رغم اختلاف الأرض والبقاع، والأجناس والألوان، واللغات والتصورات، ليتقرر من ذلك أن الإيمان كان يهيمن على النفس الإنسانية منذ أقدم الحضارات والعصور إلى اليوم[4]، مما يمكن القول بأن الإنسان مخلوق متدين لأن الإيمان فطرة في نفسه وما على المسلم إلا أن يؤيد إيمانه الفطري بالأدلة العقلية الناطقة والبيّنات الساطعة الشاهدة على ذلك[5].

ولذلك نجد أن القرآن عندما يخاطب الإنسان إنما يخاطب فيه الفطرة لتقوده إلى معرفة الله والإيمان به والخضوع له لأنه مفطور على ذلك، ولذلك نجد أن الناس جميعاً في ساعات الضيق والحرج يلجأون إلى قوة خفية طالبين نصرتها وصدق الله القائل:(وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ)[6]، وقوله تعالى:(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ)[7]

---

(1) سورة الأعراف، الآية (١٧٢).
(2) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٩١-١٩٢ مع الهامش.
(3) الله في العقيدة الإسلامية، أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م)، ص١٨ "بتصرف".
(4) الله في العقيدة الإسلامية، أحمد بهجت، ص١٨، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبدالعزيز، ص٥٨.
(5) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين عبدالعزيز، ص٦٠-٦١.
(6) سورة النحل، الآية (٥٣).
(7) سورة الروم، الآية (٣٣).

ففي ساعة الضيق والحرج تتوجه القلوب إلى الله لأنها مضطرة بالفطرة إلى ذلك، وفي ساعة الفرج تتلهى بالنعمة والمتاع فتضعف صلتها بالله تعالى، وهذه الفطرة هي التي تفسر الظاهرة التي لاحظها الباحثون في تاريخ أديان الأمم والشعوب، ولكن الفطرة تارة قد تكون سليمة وتارة قد تكون سقيمة ومن أجل ذلك كانت بعثة الأنبياء والرسل لإصلاح تلك الفطرة وتذكيرها بميثاق ربها عليها[1].

ويتقرر بذلك أن جميع الموجودات وكل الأشياء بما فيها الإنسان تعيش في ظل هداية تكوينية فطرية، هداية تقودها إلى الله، ولقد منح الله تبارك وتعالى جميع الكائنات هذه الموهبة دون تفرقة، فهو سبحانه لم يخلق جماعة على فطرة الإيمان وجماعة أخرى على غريزة الإلحاد أو الكفر، كلا إنما هي فطرة واحدة فطر الناس عليها(فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ)[2]، وهذا يعني أن فطرة الله هي التوحيد الخالص والإقرار بربوبية الله تعالى للخلق[3].

وأما معرفة الله المكتسبة، فمعرفة توحيده وصفاته وما يجب أن يثبت له من الصفات، وما يجب أن ينفى عنه، فهذه المعرفة هي التي دعا الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام إليها وحثوا عليها ولهذا قالوا للناس قولوا لا إله إلا الله وهي دعوة إلى التوحيد الخالص وليس إلى معرفة الله[4].

وهكذا نجد أن القرآن الكريم وهو يقرر عقيدة التوحيد الخالص من الإيمان بالله ووجوده وصفاته وتوحيده في ربوبيته وألوهيته، نجده يخاطب في الإنسان فطرته السليمة التي هي في الأصل مفطورة على ذلك ليقوده بكل يسر وسهولة إلى توحيد الله الخالص بأدلته النقلية والعقلية الدالة على ذلك بعد دلالة الحس والوجدان والفطرة. ٥ــ تقرير القرآن لقضايا العقيدة بأسلوب التحدي والتعجيز.

القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه وتعالى المعجز المنزل من عنده على رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم، والمنقول عنه نقلاً متواتراً

---

(1) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٩٢ مع الهامش.

(2) سورة الروم، الآية (٣٠).

(3) انظر: الله في العقيدة الإسلامية، أحمد بهجت، ص١٩، دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٩٥.

(4) نفس المرجع، ص١٩٥.

نظماً ومعنى، وهو آخر الكتب السماوية نزولاً من عند الله وقد تعهد الله بحفظه من التبديل والتغيير والتحريف إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها حيث قال تعالى:(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1]، وقد تحقق وعد الله بحفظه ولن يخلف الله وعده حيث تم حفظه وحياً وحفظاً وجمعاً وبياناً وليس للرسول صلى الله عليه وسلم إلا حمله وتبليغه للناس[2].

ولقد بدأ نزول القرآن بمكة، وأول ما نزل منه في غار حراء قوله تعالى:(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ(٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ)[3]، ثم توالى نزوله بعد ذلك حسب الحوادث والوقائع في ثلاث وعشرين سنة تقريباً، حيث نزل مفرقاً بحسب الحاجة التي تكون سبباً في النزول ليكون ذلك آنس للعرب، وادعى للقبول، وأبلغ في الحجة عليهم، وأظهر لوجه إعجازه، ولولا نزوله متفرقاً آية واحدة إلى آيات قليلة، لما أفحمهم الدليل في تحديهم بأقصر صورة منه، لأن القرآن تحداهم بأن يأتوا بسورة من مثله، فلو نزل القرآن جملة واحدة لكان لهم بعض العذر في عجزهم عن معارضته، ولكن الآية أو الآيات كانت تنزل في وقت وكان يفصل بين وقت وآخر زمن يكفي لأن تتهيأ النفوس لمعارضته، أو الإتيان بمثله، ولكنهم كانوا يعجزون رغم الفرصة الكافية التي كانت تمنح لهم لمعارضة القرآن وهذا من أعظم الدلائل على وجه إعجاز القرآن وتحديه الذي أخبر المولى عزّ وجل عنه بقوله:(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)[4]، وقوله تعالى:(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[5].

وفي هذا دليل على أن معجزات الأنبياء والرسل قد انقرضت بانقراض أعصارهم فلم يشاهدها إلا من حضرها وعاش في زمنها،

---

(1) سورة الحجر، الآية (٩).
(2) منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص٩٥-٩٦ "بتصرف".
(3) سورة العلق، الآيات (١-٥).
(4) سورة الإسراء، الآية (٨٨).
(5) سورة البقرة، الآية (٢٣).

وأما معجزة القرآن فهي مستمرة وستبقى كذلك إلى يوم القيامة[1]، فهو معجز في بلاغته وفصاحته وأسلوبه، وفي خرقه العادة، وإخباره بالغيبيات، ومعجز كذلك في نظمه فلا يمر عصر من العصور إلا ويظهر فيه شيء مما أخبر القرآن عنه أنه سيكون ليدل على صحة دعواه، هذا فوق أن المعجزات الماضية للأنبياء والرسل كانت حسية ومشاهدة كناقة صالح عليه السلام، وعصا موسى عليه السلام، ومعجزة القرآن معنوية تشاهد بالبصيرة فيكون من تبعه لأجلها أكثر عدداً إلى قيام الساعة[2].

والحق أن إعجاز القرآن الكريم دليل على صدق النبوة وصدق النبوة دليل على وحدانية الله تعالى وعدم الشرك كما في قوله تعالى:(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)[3]، فالآية دالة على التحدي والإعجاز وهي في نفس الوقت شاهدة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وصحة رسالته، وتقرر من ذلك أن نبوة النبي صلى الله عليه وسلم معجزتها الباقية هي القرآن الكريم فهو قائم مقام معجزات غيره من الأنبياء من قبله[4].

بل ودليل آخر يدل على إعجاز القرآن وتحديه وعلى صدق وصحة النبوة هو أن العرب كانوا من أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء، ومصانع الخطباء، ومع أن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغتهم واللسان لسانهم، ومع هذا كله تحداهم القرآن على أن يأتوا بمثله أو بآية منه وأمهلهم طوال السنين فلم يقدروا على ذلك، وقد كانوا أحرص الناس على معارضته، فلو كان في مقدرتهم معارضته لفعلوا ذلك قطعاً للحجة، إلا أنهم مع ذلك عدلوا إلى العناد تارة، وإلى الاستهزاء تارة أخرى، فتارة قالوا سحر، وتارة قالوا شعر، وتارة قالوا أساطير الأولين، كل ذلك دليل على الحيرة والانقطاع، ثم رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم مع أن الإقناع بالحجة كان أهون عليهم من هذا كله وهذا يدل على

---

(1) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص٩٩.
(2) منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص٩٩.
(3) سورة هود، الآية (١٣).
(4) انظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي ٢/٩١-٩٢.

إعجاز القرآن وتحديه وعلى صدق الرسالة والمُرسل لتتقرر وحدانية الله وعدم الشرك به[1].

ويتضح من ذلك أن أسلوب التحدي والإعجاز أحد الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لعرض عقيدته فهو يتحدى في أسلوبه ونظمه وبلاغته وفصاحته من أوله إلى آخره كل ذلك ليضع المخاطبين أمام الحقيقة التي لا مفر منها والاعتراف بقصور المخلوق أمام عظمة الخالق فيتحقق بذلك التوحيد الخالص.

ويبدو واضحاً من العرض السابق للأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لتقرير عقيدة التوحيد أن هناك فرقاً واضحاً بين أخذ العقائد من كتب الكلام أو الفلسفة وأخذها من القرآن الكريم، وهذا الفرق يتجلى في أن كتب الكلام كتب علم، فهي إن سلمت من الحشو والتعقيد فقلما تسلم من الخطأ والتقصير، وأما القرآن فهو كتاب علم وهداية، فترى نفسك وأنت تتلو آيات الله التي تقرر قضية من قضايا الاعتقاد أنك أمام أسلوب معجز في كل جوانبه يطمئن له قلبك، وتخشع له جوارحك، وتشعر بسلطانه على النفس والقلب لا يمكن أن يوجد في أي كتاب آخر، وصدق الله القائل:(لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ)[2][3].

فالقرآن الكريم يقيم الأدلة من الكون والنفس والتاريخ، وبضرب الأمثال، وبخاطب العقول والفطرة،ويسلك مسلك التحدي والتعجيز وبغيرها من الأساليب والوسائل ليستدل على ربوبية الله وألوهيته وكماله، ويقيم الأدلة على البعث كذلك، بخلق الإنسان أول مرة، وخلق السموات والأرض، وإحياء الأرض بعد موتها، ولن تجد مسألة واحدة من مسائل العقيدة الإسلامية إلا وهي مبرهنة وفيها أدلة كافية لإقامة الحجة وإيضاح الحق لمن أراد الحق بوضوح الدليل وقوة

---

(1) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص100-101، دراسات في علوم القرآن، د.محمد سالم عبيدات، دار عمار، الأردن، عمان، الطبعة الأولى (1411هـ-1990م)، ص220.

(2) سورة الحشر، الآية (21).

(3) آيات الله في الآفاق، تأليف محمد أحمد العدوي، مطبعة المنار بمصر، الطبعة الأولى (1352هـ-1933م)، انظر: مقدمة الكتاب، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص13.

البرهان[1]، فالقرآن ينفرد بمنهجه الخاص وطريقته المتميزة في تقرير حقائق العقيدة، وبيان مسائلها، وشرح قضاياها، وإزالة كل لبس قد يعرض حين تلقيها، كما يتفرد بمنهجه في الاستدلال على حقائقها، والحجاج عنها، فلهذا كانت العقيدة الإسلامية غنية كل الغنى بالمنهج الصحيح، والأسلوب السليم، والطريقة المستقيمة، والبراهين القاطعة، والدلائل الساطعة، والحجج الدامغة، فهي بهذا مستغنية كل الاستغناء عن أساليب البشر ووسائلهم في إثبات الحقائق الاعتقادية، وحق للقاسمي أن يقول: (إن عقيدة الإسلام هي عقيدة القرآن، والنبي عليه الصلاة والسلام، فلا يصح قطعاً عرضها بغير طريقتها القرآنية النبوية، ولا التعبير عنها بغير لغتها واصطلاحاتها... فليست الفلسفة طريقها، ولا علم الكلام منهاجها، بل طريقها القرآن، ومنهاجها سنة رسول الله عليه الصلاة والسلام)[2].

ويمكن أن نستخلص من هذا العرض ومن عرضنا السابق لأساليب القرآن لتقرير عقيدة التوحيد بعض مميزات طريقة القرآن الكريم في تقرير العقيدة والتي يختص بها دون غيره من الطرق ومن هذه السمات البارزة الطريقة القرآنية نجد أن القرآن الكريم يضم الأدلة لبعضها البعض ومن ثم يستدل بها في موضع واحد لتدل على مدلول واحد كمافي قوله تعالى:(وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [3].
فالآية الأخيرة بعد أن قررت الوحدانية في الآية التي قبلها ذكرت عدداً من الأدلة الكونية، كل منها يدل على وحدانية الله تعالى وتوحيده[4].

كذلك تمتاز طريقة القرآن الكريم في أنها تناسب جميع فئات الناس ومستوياتهم العقلية والفكرية، كما أن الطريقة القرآنية ملائمة للفطرة وخالية من التعقيد، لأن القرآن هو كلام الله تعالى وهو يخاطب

---

(1) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٢٨-٢٩، منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، ص١٣-١٤.
(2) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٦.
(3) سورة البقرة، الآيتان (١٦٣-١٦٤).
(4) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص٣٢٩.

الإنسان بالطريقة التي يعلم أنها تؤثر فيه بكل يسر ووضوح، وكذلك نجد أن طريقة القرآن طريقة عملية فالقرآن لا يكتفي بمجرد إقراره للوحدانية ومحاربة الشرك، بل يطلب من أتباعه أعمالاً وتكاليف فهو يجمع ويربط بين العقيدة والعمل معاً، كما أنها طريقة تنفي الشكوك والشبهات التي قد تدور حول جميع مسائل العقيدة لأنها تفصل فصلاً تاماً بين حقيقة الألوهية وحقيقة العبودية في شتى جوانبها، هذا فوق أن طريقة القرآن لعرض عقيدته هي الأصل لكل الطرق الصحيحة لأنها من عند الله تعالى، فهي منهج متكامل لحقيقة التوحيد بخلاف ما عليه جميع الطرق الأخرى[1].

وهذه الطريقة القرآنية هي التي كان عليها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين من بعدهم من سلف هذه الأمة.

القاعدة الثانية: موافقة صريح العقل[2] لصحيح النقل.

هذا الموضوع وهو العلاقة بين العقل والنقل في المذاهب الإسلامية، قديم متجدد، تكلم فيه علماء الكلام والتوحيد، وأصول الفقه، والفقه، والفلسفة وغيرها منذ بدايات نشأة هذه العلوم، وتجدد البحث فيه في العصر الحديث الذي انبهر بتقدم الحضارة المادية لاعتمادها على طاقات العقل وإبداع الفكر، وتوهم البعض أن الإسلام يعتمد فقط على النصوص الشرعية في القرآن والسنة، ويهمل دور العقل ومجال الفكر الإنساني، مع أن الإسلام قامت حضارته ومجده على كل من النص المنقول والكلام المعقول، فالنص هو الموجه دائماً والمصحح للعقل ونتاج الفكر، بل إن مساحة ما منحه الإسلام للعقل هو أكبر بكثير مما يتصور، فالتشريع الإلهي لم يهمل العقل الرشيد بل جعله مناط أو أساس التكليف بالتكاليف الشرعية[3].

ولقد دافع القرآن الكريم عن العقل، ورفع قدره، واقتفى أثره في ذلك علماء الأمة، الذين يدافعون عن العقل وعن قيمة أدراكاته، ليتخذوا من ذلك طريقاً للاستدلال بما فيه من مبادئ، بل يرون أن أي

---

(1) نفس المرجع، ص٣٢٧ وما بعدها.

(2) العَقْلُ لغةً: الحِجْر والنهُى ضد الحَمْق، والجمع عقول وهو صفة وسمي العقل عقلاً لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك وهو ما يتميز به الإنسان عن سائر الحيوانات، انظر: لسان العرب١١/٤٥٨، تهذيب اللغة ١/٢٤٠-٢٤١.

(3) انظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م)، ص١٥.

تشكيك في قيمة العقل، هو ذريعة للتشكيك فيما قام على أساسه من استدلال وهو أمر يمس قضايا العقيدة، فالعقل لا يهتدي إلا بالشرع والشرع لا يتبين إلا بالعقل[١]، لأن العقل هو القوة المفكرة في الإنسان التي يعقل بها حقائق الأشياء، ولذلك نجد أن الإسلام أوجب التفكير وجعله فريضة إسلامية متميزة في إثبات العقيدة ولا سيما الخالق تعالى، وفي فهم القرآن واستنباط الأحكام حتى إن ما عدا النص القرآني والنبوي والإجماع من مصادر هذا العلم يعتمد على العقل في الاجتهاد من قياس واستحسان واستصحاب وغيره[٢].

وكذلك اعتمد المسلمون في نشر دعوة الإسلام على العقل، وميزاته، والاعتراف بأنه وسيلة للمعرفة، وطريق الوصول إلى الحقيقة، وترسيخ أركان العقيدة في النفوس على أساس من الحوار والمناقشة والإقناع، وفي نطاق الاجتهاد والتجديد والتفاعل مع مقتضيات الحياة ورعاية مصالح الناس، جعل العلماء العقل سبيلاً لاستنباط الأحكام التشريعية، بالاعتماد على إدراك مقاصد الشريعة وغاياتها السامية، وعليه فإذا كان العقل رشيداً، وإعماله سديداً، كان دليلاً مقبولاً في الاستدلال والاستنباط في ضوء التوصيات والمبادئ الربانية[٣].

فالنقل يطلق على الوحي بشقيه القرآن والسنة، وأما العقل فيطلق على ما استقر في العقول السليمة، وثبت بالتجربة والبرهان والبديهة، وهذان لا يمكن تعارضهما بأي حال من الأحوال، لأن الوحي من الله، والعقل من الله أيضاً، ومعطياته الثابتة إنما قامت على النواميس الكونية وما كان كذلك لا يمكن أن يعارض بعضه بعضاً[٤]، ويتقرر من ذلك أن ما ذهب إليه علماء الكلام وبالأخص المعتزلة منهم من القول بتقديم العقل على النقل عند مظنة التعارض هو أمر لا يستقيم لأنه مبني على فرضيات هي في الأصل غير موجودة ولذلك يقول ابن تيمية: (القول بتقديم الإنسان لمعقوله على النصوص النبوية قولاً لا ينضبط وذلك لأن أهل الكلام والفلسفة الخائضين المتنازعين فيما

---

(١) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٤١-١٤٢.
(٢) انظر: قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د.وهبة الزحيلي، ص١٦.
(٣) نفس المرجع، ص١٨.
(٤) عقيدتنا الإسلامية، د.محمد الملكاوي وآخرون، الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م)، ص٢٩.

يسمونه عقليات كل منهم يقول إنه يعلم بضرورة العقل وقد يقول الآخر بنقيضه وقد يقول أحدهم إن العقل الصريح دلّ على النهي والآخر يقول العقل الصريح دلّ على الإثبات فهم متنازعون في المسائل التي دلت عليها النصوص كمسائل الصفات والقدر)[1].

فابن تيمية يرى أن النبي صلى الله عليه وسلم بيّن لأصحابه القرآن لفظاً ومعنى وهو الذي خصه الله بقوله:(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)[2]، ولا يحصل البيان والبلاغ المقصود إلا بذلك، فمن قال أنه لم يبلغ معاني كلامه وكلام ربه بلاغاً مبيناً بل بلغهم الألفاظ وأحالهم في فهم معانيه إلى عقولهم، لم يكن قد شهد له بالبلاغ، وأما أهل العلم والإيمان فبخلاف ذلك فهم يشهدون له بما شهد به الله وملائكته وخيار القرون أنه بلغ البلاغ المبين الموجب للعلم واليقين لفظاً ومعناً[3].

وهذا ليس قدحاً في العقل ولكن المطلوب إعماله في حدوده ومجاله وفي ذلك راحة له من عناء البحث في غيبيات ليست من اختصاصه، فما قرره الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجب الإذعان له، ثم يأتي العقل بعد ذلك شاهداً لما جاء به النقل لا حكماً عليه، فالعقول قد جعل الله لها حداً في الإدراك لا تتعداه ولو علمت كل مطلوب لاستوت مع الخالق تعالى وهو محال[4]، فالعقل مقيد بعالم الحس لا عمل له في الحكم على عالم الغيب، وقضايا الألوهية في أغلبها غيبية وهو بذلك لا يستطيع أن يصدر أحكامه على غيبيات لم يدركها، لأن عالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي استغلالاً ذاتياً، إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بصحته وعند ذلك تسلم بمضمونه تسليماً تاماً دون مناقشة أو اعتراض وعلم من ذلك أن للعقل حداً ينتهي إليه كما للبصر حداً ينتهي إليه كذلك[5].

فإذا وقف العقل عند حدوده واهتدى بالنقل فيما وراء ذلك انتفت المعارضة بين العقل والنقل وتبين من ذلك أن المشكلة قد تتأتى من الخطأ في فهم النص الديني الثابت، وفهم النص عمل اجتهادي

---

(1) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية ١/١٥٦-١٥٧.
(2) سورة النحل، الآية (٤٤).
(3) مختصر الصواعق المرسلة ٢/٥١٠.
(4) انظر: الاعتصام، للشاطبي ٢/٣١٨.
(5) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن، ص٢٠-٢١.

بشري، قد يصيب وقد يخطئ، ولكن المخطئ هو الإنسان غير المعصوم الذي اجتهد في فهم النص وفي هذه الحالة علينا أن نراجع فهمنا للنص، ونعيد تدبرنا له، حتى نصل إلى المعنى اليقيني الذي تم الوصول إليه عن طريق الإدراك الحسي أو الإدراك العقلي، وقد تأتي المشكلة من أن النص الديني، قد يكون غير ثابت ثبوتاً قطعياً وهذا ينطبق على بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دون القرآن، لأن القرآن كله قطعي الثبوت، وذلك لعدم توفر الروايات الصحيحة التي تجعل هذه الأحاديث قطعية الثبوت، وعلم من ذلك أنه لا يمكن أن يتعارض نص صحيح مع عقل صريح[1]، وهو ما قرره القاسمي بقوله: (يجب التفريق بين وجود التعارض حقيقة بين نصوص الشرع وموازين العقل، وبين قيام شبهة التعارض في بعض الأذهان، فكثيراً ما تقوم شبهات التعارض في أذهان البعض، فيظنه تعارضاً في نفس الأمر، ويشتغل بضروب شتى من ردّ النصوص وتأويلها، وكان الأولى أن يحرر محل التعارض أولاً، فعند تحريره ينكشف أنه ليس بتعارض)[2].

ولذلك يستحيل على الوحي الإلهي والشرع الحق أن يرد بما ينكره العقل أو يدل على استحالته ولكنه قد يرد بما يعجز العقل عن إدراكه والإحاطة به وفي مثل هذه الحالة فالنقل هو الأصل وفي ذلك يقول القاسمي: (والأصل في الموافقة بين المعقول والمنقول أن يكون الاعتماد على تحكيم القرآن والسنة في جميع الأقيسة العقلية، والاجتهادات النظرية، ولا يكون العقل إلا موافقاً للنقل، بشرط أن يكون النقل صحيحاً، فصحة النقل شرط في الاستدلال على صحة العقل، فليس كل نقل يكون موافقاً للعقل إذا كان النقل غير ثابت، كما هو واقع نصوص أهل الكتاب، وأصحاب الفرق الضالة)[3].

ولذلك يرى ابن تيمية رحمه الله أن الواجب في المسائل الاعتقادية والدينية أن يخضع العقل للنص ويكون تابعاً له بخلاف ما يدعيه أصحاب النظر العقلي من المتكلمين من إخضاع النصوص للعقول وفي هذا يقول: (جماع الفرق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والرشاد والغي، وطريق السعادة والنجاة، وطريق الشقاوة والهلاك، أن يُجعل ما بعث الله به رسوله، وأنزل به كتبه هو الحق

---

(1) انظر: عقيدتنا الإسلامية، د.محمد الملكاوي وآخرين، مرجع سابق، ص٣٠.
(2) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٤٧.
(3) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٣٤٣.

الذي يجب إتباعه، وبه يحصل الفرق والهدى والعلم والإيمان، فيصدق بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل، وإن لم يعلم هل وافقه أو خالفه يكون ذلك الكلام مجملاً لا يعرف مراد صاحبه أو قد عرف مراده، ولكن لم يعرف هل جاء الرسول بتصديقه أو تكذيبه، فإنه يمسك فلا يتكلم إلا بعلم، والعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم)[1].

فابن تيمية يرى أنه لا مخالفة بين صريح المعقول وصحيح المنقول مادام أن النقل قد ثبتت صحته وهو بذلك يجعل النقل أصل والعقل فرع وتابعاً له وهو ما قرره ابن أبي العز بقوله: (فكل من طلب أن يحكم في شيء من أمر الدين غير ما جاء به الرسول، ويظن أن ذلك حسن، وأن ذلك جمع بين ما جاء به الرسول وبين ما يخالفه، فله نصيب من ذلك، بل ما جاء به الرسول كافٍ كامل، يدخل فيه كل حق، وإنما وقع التقصير من كثير من المنتسبين إليه، فلم يعلم ما جاء به الرسول في كثير من الأمور الكلامية الاعتقادية... (ولذلك نسبوا) إلى شريعة الرسول بظنهم وتقليدهم ما ليس منها، وأخرجوا عنها كثيراً مما هو منها)[2].

ويتضح من ذلك أن الواجب كمال التسليم للرسول صلى الله عليه وسلم، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق دون أن نعارضه بخيال باطل نسميه معقولاً، أو نحمله شبهة أو شكاً، أو نقدم عليه آراء الرجال وبذلك يكون الطريق الوحيد الذي يسلك للوصول إلى العلم اليقيني هو ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب وسنة، لأنه صلى الله عليه وسلم بيّن الدين أصوله وفروعه جميعاً فهو لا يؤخذ إلا منه ولا يرد إلا إليه، وهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من أمة الإسلام فهم لم يعارضوا النص بعقل ولا قياس كما يقول ابن تيمية: (فأما معارضة القرآن بمعقول أو قياس فهذا لم يكن يستحله أحد من السلف، وإنما ابتدع ذلك لما ظهرت الجهمية والمعتزلة ونحوهم، ممن بنوا أصول دينهم على ما سموه معقولاً وردوا القرآن إليه، وقالوا: إذا تعارض العقل والشرع فالشرع إما أن

---

(1) الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند ابن تيمية، ص١٥٥.
(2) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تأليف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٣١-٧٩٢هـ)، ص١٦.

يُفوض أو يُتأوّل، فهؤلاء من أعظم المجادلين في آيات الله بغير سلطان آتاهم)[1].

فبمثل هذا المسلك جانب المتكلمون الصواب وحادوا عن منهج القرآن لمناهج فلاسفة اليونان وغيرهم، ويستفاد من ذلك أن الدين نزل هادياً للعقل، إلا أنه أطلق له الحرية الكاملة فيما يتعلق بالبحث والكشف في مجال الماديات، في السماء والأرض، وفيما بين السماء والأرض شرط أن يكون ذلك في خير الإنسانية، وكشف سنن الله في الكون، أما ما يتصل بأمور الناس من ناحية العقيدة أو الأخلاق أو التشريع فقد قاد الدين فيها العقل ورسم له طريق السير، وسهل له سبيل الاهتداء وأتى بما يفهمه العقل ويتقبله ولا يتعارض معه على الإطلاق[2].

وإذا كانت هذه هي حال العقل مع النقل فعلى العقل أن يهتدي بالوحي ويسترشد به في عالم ما وراء الطبيعة حتى لا تعصف به الأهواء، ومتى ما عجز عن إدراك الحقيقة على وجهها الأكمل فعليه أن يتهم نفسه ولا يتهم الدين بالنقص على أي حال.

ويتضح من ذلك أن القول بتقديم العقل على النقل أو بعدم موافقة صريح العقل لصحيح النقل أو نحو ذلك مما ذهب إليه المتكلمين وخاصة المعتزلة وبعض متأخري الأشاعرة هو أمر لم يقل به أحد من السلف ولذلك نجد أن ابن تيمية قد انتقد مثل هذا المسلك قائلاً: (وهذا الكلام قد جعله الرازي وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتب الله وكلام أنبيائه وما لا يستدل به، ولهذا ردّوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها، وظن هؤلاء أن العقل يعارضها، وقد يضم بعضهم إلى ذلك أن الأدلة السمعية لا تفيد اليقين...، ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته،

---

(1) الاستقامة، لابن تيمية ٢٣/١.

(2) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص٢٤٧، ٢٥٣-٢٥٤.

ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له، فما وافق قانونهم قبلوه، وما خالفه لم يتبعوه)[1].

فابن تيمية بعد أن أوضح أن علماء الكلام يقدمون العقل على النقل ويجعلون العقل حاكماً على نصوص الشرع يقرر بأن هذا المسلك هو تحريف وتأويل لكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من غير دليل، بل هو اتهام صريح لأنبياء الله ورسله الذين بلغوا البلاغ المبين وفي ذلك يقول: (وأما أهل التحريف والتأويل فهم الذين يقولون أن الأنبياء لم يقصدوا بهذه الأقوال ما في نفس الأمر، وإن الحق في نفس الأمر هو ما علمناه بعقولنا، ثم يجتهدون في تأويل هذه الأقوال إلى ما يوافق رأيهم بأنواع التأويلات التي يحتاجون فيها إلى إخراج اللغات عن طريقتها المعروفة، وإلى الاستعانة بغرائب المجازات والاستعارات)[2].

ومقصود ابن تيمية أنه في الأصل لا يوجد ولا يمكن أن يقع تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح وهو ما ذهب إليه بقوله: (وبيان ذلك بتقديم أصل، وهو أن يقال: إذا قبل تعارض دليلان سواء كانا سمعيين أو عقليين أو أحدهما سمعياً والآخر عقلياً، فالواجب أن يقال: لا يخلو إما أن يكونا قطعيين، أو يكونا ظنيين، وإما أن يكون أحدهما قطعياً والآخر ظنياً، فأما القطعيان فلا يجوز تعارضهما سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو أحدهما عقلياً والآخر سمعياً، وهذا متفق عليه بين العقلاء، لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة...، وإن كان أحد الدليلين المتعارضين قطعياً دون الآخر فإنه يجب تقديمه باتفاق العقلاء، سواء كان هو السمعي و العقلي، فإن الظن لا يدفع اليقين، وأما إن كانا جميعاً ظنيين فإنه يذهب إلى طلب ترجيح أحدهما، فأيهما ترجح كان هو المقدم، سواء كان سمعياً أو عقلياً)[3].

---

(1) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، الجزء الأول، ص٣٢.

(2) نفس المرجع ٣٤/١.

(3) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ٧٧/١.

ويتضح من ذلك أنه لا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن ظهر تعارض بينهما فإنه يزول عند النظر والتدقيق وهذا هو المسلك السليم في تقرير مسائل العقيدة والاستدلال عليها.

القاعدة الثالثة: اشتمال القرآن والسُنَّة على جميع مسائل أصول الدين.

هذه القاعدة إحدى قواعد السلف للاستدلال على قضايا العقيدة الإسلامية خاصة وقد اتضح لنا من قبل أن العقيدة من الأمور التوقيفية التي لا يجوز الاجتهاد فيها، فهي يجب أن تستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتنص هذه القاعدة على أن القرآن والسنة قد اشتملا على كل الأمور المتعلقة بالدين وخاصة قضايا الاعتقاد من حيث البرهنة عليها وبيانها بأدلتها السمعية والعقلية الأمر الذي يدحض اللبس الذي وقع لدى كثير من الناس في هذه المسألة، فظنوا أن الدليل السمعي لا يكون عقلياً وحصروا الدليل العقلي فيما دلّ عليه العقل دون استناد إلى السمع، وهذا فهم ربما يكون مصدره الجهل بأدلة القرآن والسنة، أو إصرار من البعض على جعل دلالة النصوص على مسائل العقيدة سمعية فقط انطلاقاً من إعلائهم لحجة العقل على حجة السمع كما ذهب إلى ذلك المتكلمون[1].

فهذه القاعدة تقرر أن أصول الدين قد بُينت في القرآن والسنة خير بيان وأن القرآن والسنة قد اشتملا على جميع الدلائل السمعية والعقلية الدالة على توحيد النبوة والمعاد وغير ذلك من مسائل العقيدة الإسلامية، وذلك بما نصبه الله من الأدلة التي يهتدي إليها العقل، من خلال النظر في آيات الله في الآفاق والأنفس، وفي ذلك دليل على أن من أراد معرفة مسائل العقيدة أو دلائل تلك المسائل فعليه أن يرجع إلى القرآن والسنة، فقد بينا هذه المسائل خير بيان بحيث لم يترك لأحد أن يخوض في مسائل العقيدة بعقله، أو أن يعارضها بمعقوله، وذلك لأن العقل قاصر عن الخوض في عالم الغيب، وذلك لافتقاره للوسائل التي تمكنه من الخوض في ذلك وعلى المسلم أن ينظر في أقوال الناس وآرائهم، ثم يعرضها على الكتاب والسنة فيقبل منها ما وافقهما ويرد

---

(1) انظر: عقيدتنا الإسلامية، د.محمد الملكاوي وآخرون، ص٢٣، عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د.محمد أحمد عبدالقادر خليل، ص٢١.

ما سوي ذلك[1]، خاصة وأن قضايا الاعتقاد في مجملها بكلمة قل التلقينية مثل قوله تعالى:(قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ(٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ)[2]، وقوله تعالى:(قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ)[3]، وقوله تعالى:(قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[4]، وقوله تعالى:(وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)[5]، وهكذا نجد أن مسائل العقيدة الإسلامية توقيفية، فهي لا تؤخذ من آراء الرجال لورود أكثرها في القرآن بكلمة قل التلقينية[6].

ولذلك نجد أن شيخ الإسلام ابن تيمية أثبت أن أصول الدين قد بينها القرآن، وأنه هو مصدرها الذي تؤخذ منه على غير طريقة المتكلمين فيقول في ذلك: (إن أصول الدين الذي بعث الله به رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم قد بينها الله في القرآن أحسن بيان، وبين دلائل الربوبية والوحدانية، ودلائل أسماء الرب وصفاته، وبين دلائل نبوة أنبيائه، وبين المعاد، بين إمكانه وقدرته عليه في غير موقع، وبين وقوعه بالأدلة السمعية والعقلية، فكان في بيان الله بيان لأصول الدين الحق، وهو دين الله، وهي أصول ثابتة صحيحة معلومة، فتضمن بيانه العلم النافع، والعمل الصالح، والدين الحق)[7].

فالكتاب والسنة هما الأساس المعتمد في مسائل العقيدة وغيرها، فلا يجوز للمسلم أن يعدل عنهما إلى ما سواهما كما ورد الأمر بذلك في قوله تعالى:(وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[8]، وقوله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي

---

(١) انظر: عقيدتنا الإسلامية، مرجع سابق، ص٢٣-٢٤.
(٢) سورة الإخلاص.
(٣) سورة الكافرون، الآيتان (١-٢).
(٤) سورة البقرة، الآية (١٣٦).
(٥) سورة الإسراء، الآية (١١١).
(٦) انظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، د.ملكاوي، ص٢٣.
(٧) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، لابن تيمية، ص١٧١-١٧٢.
(٨) سورة الأنعام، الآية (١٥٣).

الْأَمْرِ مِنْكُمْ ۖ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا)[1]، وقوله تعالى كذلك:(فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[2]، وقد جاءت الأحاديث النبوية كذلك تقرر هذا الأساس منها قوله صلى الله عليه وسلم: (إني قد تركت فيكم شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ولن يتفرقا حتى يردا على الحوض)[3]، وقوله صلى الله عليه وسلم: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله...)[4].

واستناداً على ما ذكر من نصوص حق لابن تيمية أن يقول: (أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني، ولا عمن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلف الأمة، فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة)[5].

وهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من أمة الإسلام كما يقول ابن تيمية: (ثم من طريقة أهل السنة والجماعة، إتباع آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم باطناً وظاهراً، وإتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، وإتباع وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال: (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)[6] ويعلمون أن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وسلم، ويؤثرون كلام الله على غيره من كلام أخبار الناس ويقدمون هدى محمد صلى الله عليه وسلم على هدى كل أحد)[7].

---

(1) سورة النساء، الآية (٥٩).
(2) سورة النساء، الآية (٦٥).
(3) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب العلم ٩٣/١.
(4) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، حديث رقم١٨٣٥، ١٤٦٦/٣.
(5) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، لابن تيمية، ص٢٠٠.
(6) أخرجه أبوداود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، حديث رقم٤٦٠٧، ١٣/٥.
(7) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، لابن تيمية، ص١٩٦.

ومقصود ابن تيمية أن القرآن والسنة فيهما البيان الشافي لجميع قضايا ومسائل الدين وخاصة قضايا الاعتقاد، وأن هذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح فعلى كل مؤمن أن لا يتكلم في شيء من الدين إلا تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم كما هو مبين في القرآن والسنة وفي ذلك يقول: (فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل فقد بينه الله ورسوله بياناً شافياً قاطعاً للعذر، إذ هذا من أعظم ما بلغه الرسول البلاغ المبين، وبينه للناس، وهو من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده بالرسل الذين بينوه وبلغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانية، والحكمة التي هي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتملة من ذلك على غاية المراد وتمام الواجب والمستحب)[1].

ويتضح من ذلك أن كل ما يستحق أن يطلق عليه أنه أصل من أصول الدين مما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به فقد بينه المولى عزّ وجل في كتابه والرسول صلى الله عليه وسلم في سنته ولم يكل أمر معرفته إلى عقول الناس القاصرة ولا شك أن قضايا الألوهية في مقدمة هذا كله.

ويظهر من العرض السابق لمصادر وقواعد المنهج السلفي للاستدلال على قضايا ومسائل العقيدة أن السلف يقوم اعتمادهم في المقام الأول على الكتاب والسنة الصحيحة، فهم يقدمون أدلة القرآن والسنة على سائر الأدلة ويجعلون النص أو الوحي حاكماً على العقل ومقدماً عليه، كما أنهم لا يردون شيئاً من نصوص الكتاب والسنة، ولا يعارضونها بعقولهم وأهوائهم ملتزمين قول المولى عزّ وجل:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[2]، وبذلك أصبح منهج السلف في جميع أمور الدين وخاصة قضايا الاعتقاد هو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم الذي يجب إتباعه لأن مرده إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فعلى العبد أن يجعل ما بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، هو الحق الذي يجب إتباعه، فيصدق

---

(1) موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية ١/٤٣-٤٤.
(2) سورة الحجرات، الآية (١).

بأنه حق وصدق، وما سواه من كلام سائر الناس يعرض عليه، فإن وافقه فهو حق، وإن خالفه فهو باطل[1].

ويتضح عند المقارنة بين هذا المنهج ومنهج المتكلمين أن المتكلمين قد جعلوا الفلسفة وعاءً لأفكارهم، فأخذوا من الفلسفة قدراً كبيراً للرد على أصحابها، وبذلك فقد جعلوا العقل أساساً لفهم القرآن، ولم يجعلوا القرآن أساساً لإدراك العقل، وقد أدى بهم مثل هذا المنحى إلى تحكيم العقل في النص فجعلوه حاكماً عليه خاصة في الآيات التي يبدو في ظاهرها التعارض وبذلك فقد المتكلمون الانتصار بالقرآن والسنة، وخاضوا في ساحة الصراع بأفكار خصومهم[2]، فحولوا عقيدة الإسلام وشريعته إلى مناظرات جوفاء ومجادلات وبذلك استبعدت العقيدة من قوة اليقين وحرارة الإيمان إلى حالة جدلية ومهنة كلامية تؤول في غالب الأحيان بأصحابها إلى الحيرة والشك والاضطراب.

---

(1) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، ص١٣٩.
(2) انظر: شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، ص١٩.

المبحث الثاني

منهج السلف في إثبات وجود الله وصفاته

ويحتوي على مطلبين:
المطلب الأول: منهج السلف في إثبات وجود الله وأدلته
المطلب الثاني: منهج السلف في إثبات صفات الله عز وجل.

المطلب الأول

منهج السلف في إثبات وجود الله وأدلته

أولاً: برهان الفطرة[1].

برهان الفطرة يعد من أول الشواهد الدالة على وجود الله تعالى، فأول شعور يشرق في أعماق الإنسان إذا تأمل في نفسه وفي الكون من حوله، شعوره بوجود قوة كبرى مهيمنة على هذا الكون تمنحه التدبير والتنظيم، وتتصرف فيه بالحياة والموت، والتغير والتطور، والحركة والسكون، وجميع أنواع التغييرات التي تجري في هذا الكون[2].

والإنسان وهو يشعر بهذه الحقيقة ويؤمن بها إيماناً عميقاً، سواء استطاع ان يقيم الدليل البرهاني على صدق هذا الشعور، أو لم يستطع، إلا أن دليل الفطرة هو أكبر شاهد على هذه الحقيقة، فالشعور الفطري الوجداني في الإنسان بوجود قوة كبرى مهيمنة على الكون وخالقة له هو من الدلائل الصادقة على وجود الله تبارك وتعالى[3].

فإحساس الإنسان بوجود الخالق، وشعوره دائماً بحاجته إليه، وكذلك حاجة هذا الكون الكبير في نظامه وإتقانه وما فيه من إبداع إلى قدرته وعلمه وحكمته سبحانه، فهذا كله شعور فطري مشترك بين جميع الناس، فجميع البشر يشعرون بشعور مشترك أن الله حق، وهذه

---

(1) المقصود بالفطرة هي تلك الجبلة التي أودعها الله خلقه يوم أن أشهدهم على أنفسهم قائلاً (ألست بربكم قالوا بلى)(سورة الأعراف، الآية:١٧٢)، فهذه الفطرة إذا لم تدنس بالشرك والإلحاد والكفر تقر بوجود الله تعالى من غير دليل مكتسب، انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٩٢.
(2) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص٨٥-٨٦.
(3) نفس المرجع، ص٨٦.

هي صبغة الله في كل مخلوق مدرك، وفطرته التي فطر الناس عليها وقد أشار سبحانه وتعالى إلى هذه الحقيقة بقوله:(قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[1]، وإعلاناً عن هذه الفطرة الوجدانية القائمة في النفس قال تعالى:(صِبْغَةَ اللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)[2]، وقال تعالى:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)[3]، وهذا إن دلّ إنما يدل على أن وجود الله فطرة في النفس الإنسانية لا ينكره إلا من طُمست فطرته وعند ذلك تدعو الضرورة إلى إقامة الأدلة النظرية، ليزال بها عن طريق العقل الظاهر ما غشي على مرآة الفطرة من حجب بظلمات الشهوات والشكوك المادية[4].

والقرآن حافل بمثل هذه الأدلة الدالة على وجوده تعالى كما يقول ابن تيمية: (ليس في كتاب الله من أنواع الإثبات وأساليبه أبلغ في شيء منه في إثبات وجوده تبارك وتعالى، بل هو جميعه منصرف إلى تحقيق ذلك، وليس غريباً أن تجتمع آيات الله الكونية، وآيات الله القرآنية، على إثبات وجوده تقدست أسماؤه وتعالت صفاته، بل وجودها دليل على وجوده عزّ وجل، وليس في الوجود من دلائل الإثبات أعظم ولا أكبر من دلائل إثبات وجوده سبحانه وتعالى)[5].

فوجود الله تعالى وإن كان فطرة في النفس إلا أن القرآن جاء بالأدلة الساطعة والبراهين الظاهرة الدالة على وجوده تعالى ليكون ذلك أرسخ في النفوس وأثبت في القلوب، ولقد اعتمد القرآن الكريم في بيانه لهذه المسألة على الإفادة من الرصيد المعرفي المشترك بين جميع الطوائف، وخاطب في الإنسان كل إنسانيته بما فيها من عقل وقلب، فأثار في عقله مجموعة من المسلمات البديهية التي لا تجوز معها المراوغة، ولا يمكن معها الجدل لوضوحها، واستثار في قلبه ذلك الجانب الفطري الذي يميل نحو الخضوع لصاحب القوة المطلقة المدبرة

---

(1) سورة إبراهيم، الآية (١٠).
(2) سورة البقرة، الآية (١٣٨).
(3) سورة الروم، الآية (٣٠).
(4) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص٨٨-٨٩ "بتصرف"، دلائل التوحيد، للقاسمي، ص١٨٨.
(5) الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف خالد عبدالرحمن العك، ص١٢٨.

للكون، وغرائز الانفعال بجميل صنعه فيه، وبما يعود على الإنسان من آثار ذلك وهذا هو الذي ضمن لأدلة القرآن قوتها وشمولها، وجعلها تستوعب ما عداها من أدلة، قديمة كانت أو حديثة، فهي تتضمنها في صورتها السهلة (الأثر يدل على المُؤثر) (وتتضمنها في صورتها الكلامية كل حادث لا بد له من محدث)[1].

ومن أساليب القرآن في ذلك قوله تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[2]، وقوله تعالى:(وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[3] وقوله:(الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ۖ مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ۖ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ)(٢) وقوله تعالى:(وَفِي أَنْفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ)(٣)

ويلاحظ أنه لا يوجد في القرآن دليل واحد يدل على وجود الله استقلالاً، بل الدلالة على الوجود تكون مع إثبات أحد مضامين الألوهية من الوحدة والحاكمية، والصفات من القدرة والعلم والتدبير وغيرها وفي هذا دلالة على أن العلم بوجوده تعالى أمر فطري.

فوجود الله تعالى من أكبر الحقائق وأجلاها وأظهرها وأولاها وهذا يقتضي أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسهلها كذلك، يدل على هذه الحقيقة الفطرة السليمة، والعقول الصحيحة، والبصائر النيرة، ويهدي إليه العلم، والوحي والتاريخ والذين جادلوا في وجوده تعالى وبصرف النظر عن قلتهم أو كثرتهم في كل عصر، لا دليل معهم ولا حجة ولا برهان غير الجحود والمكابرة، بل إن معظمهم ممن جرفتهم الشهوات، وغلبتهم الغرائز

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار بن أحمد، ص٩٢-٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية (١٦٤).
(٣) سورة الرعد،الآية(٤)
(٢) سورة الملك، الآية(٣)
(٣) سورة الذاريات، الآية(٢١)
(٤)الإيمان،تأليف د.محمد عبد الله الشرقاوي،ص١١٣،١١٢

فبرروا هبوطهم وانحرافهم بالإلحاد وإنكار وجود الخالق الأعلى، كما أنهم بذلك يتحدون البداهة والحس والعقل والفطرة وأنى لهم بذلك[٤].

ولذلك نجد حتى أن علماء الطبيعة قد أثبتوا وجود الله فطرة وأشاروا إلى هذه الفطرة التي تتوافق مع الكشوفات العلمية التي توصلوا إليها من خلال أبحاثهم التي تثبت حكمة الله سبحانه وتقديره وتدبيره الدال على وجوده ولذلك صرحوا بأنه كلما تقدم ركب العلم وتضاءلت الخرافات ازداد تقدير الإنسان لمزايا الدين والدراسات الدينية، وقد تتعدد الأسباب التي تدفع بالإنسان إلى إعادة النظر في أمور الدين، ولكننا نؤمن أنها ترجع جميعاً إلى رغبة البشر رغبة صادقة في الوصول إلى الحقيقة لمعرفة الله معرفة صحيحة[١].

ومن ثم فإن الرسل عليهم السلام لم يجعلوا أكبر همهم مصروفاً إلى إثبات وجود الله سبحانه، فقد كان هذا أمراً مفروغاً منه، ومسلماً به لدى أقوامهم، إنما كان أكبر همهم تنقية الإيمان بالله مما شابه من أدران الوثنية ونجاسة الشرك، فكان أكبر همهم الدعوى إلى التوحيد[٢].

ويتقرر مما سبق أن الإيمان بوجود الله تعالى أصل الأصول في الدين، وهذا الإيمان أمر فطري في البشر جميعاً، إذ كل إنسان يقر بوجود الله تعالى، والعقل البشري يدرك هذه الحقيقة هذا فوق أن القرآن الكريم يحكي لنا وجود هذه الفطرة في قلوب المشركين فهم يلوذون بها في حال الشدة كما قال تعالى عنهم:(هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)[٣].

وهكذا نجد أن هذه القضية وإن كانت جافة على الصعيد الفلسفي فهي بديهية على الصعيد الحسي، لا تحتاج إلى برهان لأنها من ضرورات الفطرة، لذا فإن القرآن الكريم يطرحها كقضية مسلمة لا تحتاج إلى استدلال، ولا تحتمل الجدال، انظر إلى قوله تعالى:(وَلَئِنْ

---

(١) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة د.الدمرداش عبدالمجيد سرحان، دار العلم، بيروت، لبنان، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، ص٤٥.

(٢) الإيمان، د.محمد عبدالله الشرقاوي، ص١١٣.

(٣) سورة يونس، الآية (٢٢).

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[1]، وقوله تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)[2][3].

وبهذا يتبين أن وجود الله تعالى أمر فطري وهو في الأصل لا يحتاج إلى دليل، والدليل إنما يكون عند تغير الفطرة، وما على المسلم بعد هذا إلا أن يؤيد إيمانه الفطري بالأدلة العقلية الناطقة والبينات الساطعة الشاهدة على ذلك.

ثانياً: دليل الخلق والإيداع والعناية.

إن المولى عزّ وجل خلقنا لعبادته وأودع فينا القدرات التي تؤهلنا إلى معرفته حيث منحنا أدوات المعرفة المختلفة من سمع وبصر وفؤاد ثم أنزل القرآن ليخاطب هذه الفطر والعقول لتصل إلى حقيقة توحيد الله في ربوبيته وألوهيته كذلك، ولقد دعانا القرآن الكريم للتفكر والتدبر والتأمل وتطبيق منهجه في ذلك لنصل إلى حقيقة التوحيد قائلاً:(أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[4]، ثم دعانا للتأمل والتفكر في الأنفس والآفاق ليتعرف الإنسان على ذاته أولاً وعلى هذا الكون من حوله ليصل إلى حقيقة التوحيد ومعرفة الله سبحانه وتعالى قائلاً:(قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ ۖ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ۚ مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ) [5][6]، إنها دعوة من الله سبحانه وتعالى للوصول إلى الحق في أبسط صوره، ودليل الخلق والإبداع أو العناية لا يخرج عن هذا التوجيه والنداء القرآني من أجل النظر إلى ما في هذا الكون من مخلوقات مع التدبر والتفكر وكذلك النظر إلى النفس الإنسانية في كافة جوانبها وتركيب أعضائها ووظائفها، كل هذه الأمور وغيرها تدل على أن لهذا الكون خالقاً أوجده وقدره.

وبذلك يتضح أن الصلة الوثقى بين العقيدة والنظر في الآفاق والأنفس لأكبر شاهد على وجود الله فكما أن الفطرة السليمة إذا تركت على أصلها من غير تأثير لا يمكن أن تختار إلا الله ولاهتدت إلى وجوده،

---

(1) سورة العنكبوت، الآية (٦١).
(2) سورة الزخرف، الآية (٨٧).
(3) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، تأليف د.أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الطبعة الثانية(١٤٠٢هـ-١٩٨٢م)، ص٩٥-٩٦.
(4) سورة محمد، الآية (٢٤).
(5) سورة سبأ، الآية (٤٦).
(6) انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص١٢١.

فكذلك العقل السليم بأدنى تفكر مجرد عن الهوى يصل حتماً إلى وجود الله تعالى، وذلك عندما يتأمل ويتفكر في هذا الكون والآفاق من حوله وكذلك في النفس التي بين جنبيه[1]، والقرآن دوماً يلفت الأنظار في كثير جداً من آياته إلى ظاهرة الخلق والإبداع والعناية بهذا الكون، يقول ابن رشد: (الطريق التي نبه الكتاب العزيز عليها ودعا الكل من بابها إذا استقرئ الكتاب العزيز وجدتها تنحصر في جنسين: أحدهما: طريق الوقوف على العناية بالإنسان وخلق جميع الموجودات من أجله ولنسم هذا دليل العناية، والطريقة الثانية ما يظهر من اختراع[2] جواهر الأشياء... ولنسم هذا دليل الاختراع)[3]، ثم نجده يقول: (فأما الطريقة الأولى فتبنى على أصلين: أحدهما أن جميع الموجودات موافقة لوجود الإنسان، والأصل الثاني أن هذه الموافقة هي ضرورة من قبل فاعل قاصد لذلك مريد إذ ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة بالاتفاق... وأما دلالة الاختراع فيدخل فيها وجود الحيوان كله ووجود النبات ووجود السموات، وهذه الطريقة تنبني على أصليين موجودين بالقوة في جميع فطر الناس أحدهما أن هذه الموجودات مخترعة...، وأما الأصل الثاني فهو أن كل مخترع فله مخترع، فيصح من هذين الأصليين أن للموجود فاعلاً مُخترعاً له)[4].

ولقد اعتبر ابن رشد أن الدليلين السابقين هما دليلا الشرع وأكد ذلك بقوله:(فهذان الدليلان هما دليلا الشرع، وأما أن الآيات المنبهة على الأدلة المفضية إلى وجود الصانع سبحانه في الكتاب العزيز هي منحصرة في هذين الجنسين من الأدلة فذلك يبين لمن تأمل الآيات الواردة في الكتاب العزيز في هذا المعنى، وذلك أن الآيات التي في الكتاب العزيز في هذا المعنى إذا تصفحت وجدت على ثلاثة أنواع: إما آيات تتضمن التنبيه على دلالة العناية، وإما آيات تتضمن التنبيه على دلالة الاختراع، وإما آيات تجمع الأمرين من الدلالة جميعاً، فأما

---

(1) انظر: الإيمان، د.محمد عبدالله الشرقاوي، ص١١٩-١٢٠، البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٠٠.

(2) لفظ الاختراع لفظ اصطلاحي فلسفي كلامي، وهو غير لائف بالله تعالى، وليس في أسماء أفعاله سبحانه، المخترع وإنما ورد في القرآن لفظ الخلق والإنشاء فأولى أن يستعمل اللفظ الشرعي، انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٢٠٧ مع الهامش.

(3) مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ص١٥٠.

(4) نفس المرجع، ص١٥١.

الآيات التي تتضمن دلالة العناية فقط فمثل قوله تعالى:(أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا(١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا)[١]، ومثل قوله:(تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا)[٢]، ومثل قوله تعالى:(فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ)[٣]، ومثل هذا كثير في القرآن)[٤].

ثم يقول ابن رشد: (وأما الآيات التي تتضمن دلالة الاختراع فقط فمثل قوله تعالى: (فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ)[٥]، ومثل قوله تعالى:(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) [٦]، إلى غير ذلك من الآيات التي لا تحصى)[٧]، ثم يقول: (وأما الآيات التي تجمع الدلالتين فهي كثيرة أيضاً، بل هي الأكثر مثل قوله تعالى:(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)[٨]، فإن قوله تعالى:(الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ) تنبيه على دلالة الاختراع، وقوله تعالى:(الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً) تنبيه على دلالة العناية، ومثل قوله تعالى:(وَآيَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ)[٩]...، وأكثر الآيات الواردة في هذا المعنى يوجد فيها النوعان من الدلالة)[١٠].

---

(١) سورة النبأ، الآيات (٦-١٦).
(٢) سورة الفرقان، الآية (٦١).
(٣) سورة عبس، الآية (٢٤).
(٤) مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ص١٥٢، دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٢٠٨-٢٠٩.
(٥) سورة الطارق، الآيتان (٥-٦).
(٦) سورة الغاشية، الآية (١٧).
(٧) مناهج الأدلة، لابن رشد، ص١٥٢.
(٨) سورة البقرة، الآيتان (٢١-٢٢).
(٩) سورة يس، الآية (٣٣).
(١٠) المرجع السابق، ص١٥٢-١٥٣، انظر: منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، جمعة أمين، ص١٢٢-١٢٤.

فابن رشد يذهب إلى أن الأدلة على وجود الله تعالى لا تخرج عن دليل العناية أو دليل الخلق وهو بذلك قد أدمج التسوية، والتقدير والهداية في دليل واحد أطلق عليه دليل العناية الإلهية ويبدو أن هذا هو الصواب لأن سائر الأدلة لا يمكن أن تخرج عن هذين الدليلين وهو ما قرره البيهقي عند سوقه لقوله تعالى:(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ)[1]، يقول: (فذكر الله عزّ وجل خلق السموات بما فيها الشمس والقمر والنجوم المسخرات، وذكر خلق الأرض بما فيها من البحار والأنهار والجبال والمعادن، وذكر اختلاف الليل والنهار، وأخذ أحدهما من الآخر، وذكر الفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس، وذكر ما أنزل من السماء من المطر الذي فيه حياة البلاد وبه، وبما وضع الله في الليل والنهار من الحر والبرد يتم رزق العباد، والبهائم والدواب، وذكر ما بث في الأرض من كل دابة مختلفة الصور والأجساد، مختلفة الألسنة والألوان، وذكر تصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض، وما فيهما من منافع الحيوانات، وما في جميع ذلك من الآيات البينات لقوم يعقلون)[2].

ثم يقول: (فهذه أمور واضحة محسوسة، إذا تمعن فيها الإنسان وحكّم عقله خلص من ذلك إلى أن هذه كائنات لم يكن وجودها ذاتياً، ولم يكن لها أن تسير أنفسها بتلك الدقة المتناهية، وذلك التناسق العجيب، بل وجودها وفق هذا النظام المحكم دليل واضح على أن لها موجداً خلقها، وقدر فيها وظائفها الموكول إليها تأديتها، وسيرها نحو أداء الغرض الذي خلقت من أجله بغاية الدقة والإحكام)[3].

فالبيهقي رحمه الله يرى بذلك ضرورة الاستدلال لإثبات الخالق بالأدلة الشرعية التي ورد بها القرآن الكريم وهي ولا ريب طريقة سليمة خالية من التعقيد والغموض الذي اكتنف طرق المتكلمين، ولا عجب في ذلك فهي طريقة القرآن الكريم التي أراد الله من خلالها أن

---

(1) سورة البقرة، الآية (١٦٤).

(2) البيهقي وموقفه من الإلهيات، تأليف د.أحمد بن عطية الغامدي، ص١٠٠-١٠١.

(3) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٠١.

تكون في متناول جميع الطبقات وفي مستوى جميع العقول، ولا شك أن الاستدلال بمثل هذا النوع من الأدلة هو منهج السلف الصالح إذ منهجهم يقوم على قبول كل دليل اتفقت العقول على صحته، وكان شرعياً، بمعنى أن الشرع قد أتى به وأمر الناس أن يستدلوا به.

ويمكن القول من خلال ما مضى من عرض لقضية الاستدلال على وجود الله تعالى أن معرفة الله تعالى في الحقيقة فطرية، مركوزة في نفس كل إنسان تتقوى بالنظر والاستدلال والتفكر في آياته الكونية والقرآنية، وأن طريقها الصحيح هو القرآن الكريم والسنة النبوية الدالة على وجود الله بكل وضوح وبساطة بعيداً عن الجدل العقيم وإثارة الشكوك والشبهات في النفس كما هو عند علماء الكلام وإذا ثبت ذلك فأولى بالمسلمين جميعاً أن يتدبروا آيات الله سبحانه وتعالى ويستنبطوا منها الأدلة على وجوده بدلاً من أن يعمدوا إلى نظريات فلسفية عقيمة تثير الشبه والشكوك أكثر مما تدعو إلى الحقيقة والاطمئنان، إذ أن الأدلة التي تستخدم في إثبات وجود الله يجب أن تكون بديهية وغير معقدة، أي خالية من تفريغ المتكلمين وتقسيماتهم العقلية، كما ينبغي أن لا تثير الشبهات، وأن تكون أدلة العقل والشرع في آن واحد، إذ الحقيقة واحدة، وبذا تتجه هذه الأدلة في يسر إلى الناس جميعاً عامة وخاصة[1].

ونخلص من العرض السابق إلى أن وجود الله تعالى من البديهيات التي يدركها الإنسان بفطرته، ويهتدي إليها بطبيعته، وليس وجوده من مسائل العلوم المعقدة، ولا من حقائق التفكير العويصة، ولولا أن شدة الظهور قد تلد الخفاء، واقتراب المسافة جداً قد يعطل الرؤية، ما اختلف على ذلك مؤمن ولا ملحد وصدق القائل سبحانه وتعالى:(أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)[2].

([1]) مناهج الأدلة في عقائد الملة، لابن رشد، ص٢٤.
([2]) سورة إبراهيم، الآية (١٠).

المطلب الثاني

منهج السلف في إثبات صفات الله عز وجل

ويشتمل على بندين:
البند الأول: الصفات العقلية.
البند الثاني: الصفات الخبرية.
البند الأول: الصفات العقلية.
أولاً: صفات الذات العقلية.

قبل أن نستعرض صفات الذات العقلية وبيان منهج السلف في إثباتها ينبغي أن نشير بصورة مجملة إلى بعض معالم وملامح المنهج السلفي في إثبات أسماء الله وصفاته خاصة وأن معرفة الله عزّ وجل بأسمائه وصفاته وبما يجب له أو يمتنع أو يجوز عليه لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده، لأنها من شؤون الغيب التي لا تدخل في نطاق قدرة العقل، وإذا كان معلوماً أن الله عزّ وجل أعلم بنفسه من خلقه وأصدق قيلاً وأهدى سبيلاً، وأن رسوله المبلغ عنه أعلم به كذلك وبما يجب له ويمتنع عليه من كل أحد وهو أقدر الناس على بيان ذلك وأحرصهم على هداية الخلق إليه، فلا يجوز التعويل إذاً في هذا الباب على غير الكتاب والسنة[1].

وهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وغيرهم من أئمة الدين رضوان الله عليهم والذي أوضحه ابن تيمية بقوله: (فمن سبيلهم في الاعتقاد الإيمان بصفات الله تعالى وأسمائه التي وصف بها نفسه وسمي بها نفسه في كتابه وتنزيله أو على لسان رسوله من غير زيادة عليها ولا نقص منها ولا تجاوز لها ولا تفسير لها ولا تأويل لها بما يخالف ظاهرها ولا تشبيه لها بصفات المخلوقين ولا سمات المحدثين بل أمروها كما جاءت وردوا علمها إلى قائلها ومعناها إلى المتكلم بها)[2]، ونجده كذلك يقول في وصف الفرقة الناجية[3] وبيان معتقدها في الله قائلاً: (الإيمان بما وصف به نفسه في

([1]) انظر: دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٥٣-٥٤.
([2]) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٢/٤.
([3]) هي التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة وإن هذه الملة ستتفرق على ثلاث وسبعين ثنتان وسبعو نفي النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة)، أخرجه أبوداوؤد، كتاب السنة، باب شرح السنة، حديث رقم٤٥٩٧، ٥/٥.

كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون بأن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه، أويلحدون في أسمائه وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له ولا كفء له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه)[1].

فابن تيمية إنما مقصوده أن أسماء الله عزّ وجل وصفاته كلها توقيفية، لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع، فلا نثبت لله سبحانه من الأسماء والصفات إلا ما أثبته هو لنفسه أو أثبته له رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا ننفي عنه كذلك من الأسماء والصفات إلا ما نفاه هو عن نفسه أو نفاه عنه رسوله صلى الله عليه وسلم، وما لم يصرح الشرع بإثباته ولا بنفيه يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يراد به، فإن أريد به معنى صحيح موافق لما جاء به النص قبل وإلا وجب ردّه، وفي ذلك يقول القاسمي: (المقصود هنا قصور أفهام الخلق عن معرفة ذات الله تعالى، وإلا فإن معرفة الله تعالى على إطلاقها واجبة مطلوبة بنصوص القرآن الكريم، ولقد تعرف الله تعالى إلى خلقه بأسمائه وصفاته التي أوردها في كتابه الحكيم، وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، وبيّن بكل وضوح وجلاء استحالة إدراك ذاته قطعاً، فقال سبحانه:(لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ)[2]، ولذلك كان لابد من التفريق بين وجوب معرفة الله بأسمائه وصفاته، وبين استحالة إدراك ذاته سبحانه)[3].

ويبدو واضحاً مما سبق أن معرفة الله تعالى إنما تكون بأسمائه وصفاته التي أخبر بها في كتابه وبينها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته وأن هذا هو المنهج الذي كان عليه السلف، فمذهبهم يقوم على إثبات الصفات وإجراؤها على ظاهرها مع نفس الكيفية عنها ذلك لأن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية وكذلك إثبات الصفات وهو ما أشار إليه الإمام

---

(1) الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٤٥-١٤٦.
(2) سورة الأنعام، الآية (١٠٣).
(3) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٢٨٥ مع الهامش.

أحمد بن حنبل في معرض حديثه عن الآيات والأحاديث المتعلقة بالصفات بقوله: (هذه الأحاديث نرويها كما جاءت)[1]، وفي ذلك دلالة على أن منهج السلف في إثبات أسماء الله وصفاته ينطلق ابتداءً من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم بذلك يقفون عند حدود النصوص وهو ما قرره الإمام أحمد بن حنبل كذلك بقوله: (لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم لا يتجاوز القرآن والحديث)[2]، و ما ذهب إليه البيهقي كذلك بقوله: (فلا يجوز وصفه إلا بما دلّ عليه كتاب الله تعالى أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أجمع عليه سلف هذه الأمة)[3].

وإذا كان هذا هو المنهج الذي كان عليه السلف الصالح في إثبات صفات الله تعالى فعلينا أن نتعرف على هذا المنهج بصورة أدق من خلال التطبيق العملي له في صفات الله تعالى العقلية منها والخبرية وفق التقسيم الذي ذهب إليه البيهقي بقوله: (صفات الله قسمان: أحدهما صفات ذاته وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل... ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام ونحو ذلك من صفات ذاته، وكالخلق والرزق والإحياء والإماتة والعفو والعقوبة، ونحو ذلك من صفات فعله، ومنه ما طريق إثباته ورود خبر الصادق به فقط، كالوجه واليدين والعين من صفات ذاته وكالاستواء على العرش والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك من صفات فعله)[4]، وقد استدل البيهقي لهذا التقسيم بقوله تعالى:(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ۖ هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ(٢٢) هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[5].

---

(١) عقائد السلف، د.علي سامي النشار، ص١٠.
(٢) عقائد السلف، للنشار، ص١١.
(٣) كتاب الأسماء والصفات، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص١٣٧.
(٤) كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٣٧-١٣٨.
(٥) سورة الحشر، الآيات (٢٢-١٤).

وقد أوضح البيهقي وجهة استدلاله بهذه الآيات على تقسيمه السابق للصفات بقوله: (إن المولى عزّ وجل أشار في هذه الآيات إلى فصل أسماء الذات من أسماء الفعل، ويعني بذلك أن الله تبارك وتعالى ذكر في هذه الآيات أسماء الذات التي تشتمل على الصفات التي اشتقت منها هذه الأسماء، وذكر بعد ذلك أسماء الفعل الدالة على الصفات التي اشتقت منها أيضاً وفصل بين النوعين بضمير الفصل (هو) وهذا دليل على صحة هذا التقسيم)[1].

وهذا التقسيم هو الذي ذهب إليه كذلك الشيخ حافظ بن أحمد حكمي بقوله: (فصفات ذاته تعالى من الحياة والعلم والسمع والبصر والقدرة والإرادة وغيرها وكذلك صفات أفعاله من الاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا والمجيء لفصل القضاء بين عباده وغير ذلك كلها حق على حقيقتها)[2]، وهذا التقسيم للصفات هو الذي أثبته السلف كما يقول القاسمي: (والذي عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات لا فرق بين صفات الذات وصفات الفعل)[3].

وهكذا يبدو واضحاً من جملة هذه الأقوال أن السلف الصالح يقسمون صفات الله تعالى إلى قسمين فهي إما صفات ذات أو صفات فعل، ثم منها ما دلّ العقل على ثبوته لله تعالى مع ورود النص به وهي الصفات العقلية، ومنها ما كان طريق إثباته لله تعالى الأدلة النقلية فحسب وهي الصفات الخبرية.

ويبدو واضحاً أن ضابط الصفات العقلية هو أن يكون طريق إثباتها لله تعالى بأدلة العقول مع ورود السمع بها وهي قسمان[4] هما: صفات الذات العقلية وصفات الفعل العقلية، وإنما كان مقصودنا أولاً أن نتناول صفات الذات العقلية التي استحقها الله سبحانه وتعالى فيما لم يزل ولا يزال من الحياة والقدرة والعلم والإرادة والسمع والبصر والكلام[5].

---

(1) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٥١-١٥٢.
(2) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمي ١/١٢٧.
(3) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٥٨.
(4) انظر: كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٣٧-١٣٨.
(5) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٥١.

ومنهج السلف في إثبات هذه الصفات واضح لا لبس فيه ولا غموض خاصة وأنهم كما قررنا من قبل قد أثبتوا وجود الله تعالى شرعاً وعقلاً ولا شك إنهم يقررون كذلك ثبوت الصفات له سبحانه وتعالى، يقول البيهقي: (إذا ثبت كونه موجوداً فوصف بأنه حي، فقد وصف بزيادة صفة على الذات وهي الحياة، فإذا وصف بأنه قادر فقد وصف بزيادة صفة هي القدرة، وإذا وصف بأنه عالم فقد وصف بزيادة صفة هي العلم...إلخ)[1].

وإنما كان مقصودنا إثبات هذه الصفات مع التفصيل وبيان الأدلة الدالة عليها ولذلك قلنا أولاً:

١/ صفة الحياة[2].

مما يجب إثباته لله تعالى صفة الحياة، وهي صفة تستتبع العلم والإرادة، وذلك أن الحياة مما يعتبر كمالاً للوجود بداهة، فهي صفة كمال وجودي يمكن أن يتصف بها الواجب سبحانه وتعالى، وكل كمال وجودي يمكن أن يتصف به وجب أن يثبت له، فواجب الوجود حي وإن باينت حياته حياة الممكنات، فإن ما هو كمال للوجود إنما هو مبدأ العلم والإرادة، ولو لم تثبت له هذه الصفة لكان في الممكنات ما هو أكمل منه وجوداً، وقد تقدم أن وجوده تعالى من أظهر الموجودات وأعلاها وأكملها وأجلاها، وصفاته كذلك، ثم أنه لو كان فاقداً للحياة فكيف يمكن أن يهبها إلى غيره[3]، ولقد أخبرنا سبحانه وتعالى أن له نفساً فقال:(كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ)[4]، فأعلمنا ربنا أن له نفساً كتب عليها الرحمة، وقال:(وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ)[5]، والشاهد في ذلك أنه تعالى لما أخبرنا بأن له نفساً كتب عليها الرحمة، فصاحب النفس لابد أن يكون حياً[6].

---

(١) كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٣٧.

(٢) "هي صفة أزلية تقتضي صحة العلم لموصوفها"، شرح كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، شرح الإمام الملأ علي القارئ الحنفي، المتوفي سنة ١٠١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص٣٣.

(٣) انظر: رسالة التوحيد، تأليف الشيخ محمد عبده، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، ص٢٩"بتصرف".

(٤) سورة الأنعام، الآية (٥٤).

(٥) سورة آل عمران، الآية (٣٠).

(٦) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجل، لابن خزيمة ١١/١.

قال القاسمي: (وأنه تعالى حي، قادر، جبار، قاهر، لا يعتريه قصور ولا عجز، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعارضه فناء ولا موت)[1] وهو مصداق قوله تعالى:(اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ)[2]، وقوله تعالى:(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ)[3].
ويظهر مما سبق أن السلف يثبتون وجود الله أولاً ثم يتبعون وجوده بوجود صفاته سبحانه وتعالى، وحجتهم في ذلك قولهم:(فإذا ثبت أن الله موجود ووصف بأنه حي فقد وصف بزيادة صفة هي الحياة وهي من صفات ذاته)[4].
فالحياة صفة من صفات الله تعالى الثابتة له عقلاً وشرعاً.

٢/ صفة العلم:

يقول الإمام أبوحنيفة: (العلم صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها)[5]، ومعنى ذلك أن العلم من الصفات الذاتية، وصفة العلم صفة أزلية تنكشف المعلومات عند تعلقها بها، فالله تعالى عالم بجميع الموجودات لا يعذب عن علمه مثقال ذرة في العلويات والسلفيات، فهو بكل شيء عليم، بعلم قديم لم يزل موصوفاً به على وجه الكمال لا بعلم حادث حاصل في ذاته[6]، والعقل يشهد بذلك قبل النقل لأننا إذا نظرنا إلى الإتقان العجيب، والإحكام الغريب في هذا الكون الكبير، وجدنا أن ما يجري فيه يجري وفق تنظيم رائع من غير مصادفة، وإذا لاحظنا كل ذلك أدركنا إدراكاً يقينياً جازماً أن الخالق العظيم الذي أتقن خلق الكون وأحكمه، وخلق هذا الإنسان القابل للعلم والمعرفة، لابد أن يكون هو بذاته عليماً خبيراً، ولا تخفى عليه خافية، ولذلك صدر عنه هذا الإتقان البديع والإحكام الكامل، وقد وصف الله نفسه في القرآن الكريم بأنه عليم خبير، وأنه محيط بكل شيء علماً، وبأن علمه يتناول ما كان وما هو كائن وما سيكون، قال الله تعالى:(

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، للإمام محمد جمال الدين القاسمي ١/٤٣.
(٢) سورة البقرة، الآية (٢٥٥).
(٣) سورة الفرقان، الآية (٥٨).
(٤) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٦٣.
(٥) شرح كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، شرح الإمام الملأ علي القارئ الحنفي، المتوفي سنة ١٠١٤هـ، ص٣٤.
(٦) نفس المرجع، ص١٥.

إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)[1]، وقال تعالى:(وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا)[2]، وقال تعالى:(وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)[3]، فعلم الله ليس كعلمنا لأن علمنا مكتسب من بعد جهل، وأما علم الله تعالى فهو علم شامل وهو غير مكتسب ولا مسبوق بجهل[4]، يقول علي بن أبي العز في شرحه على الطحاوية: (والدليل العقلي على علمه تعالى أنه يستحيل إيجاده للأشياء مع الجهل، ولأن إيجاده للأشياء بإرادته، والإرادة تستلزم تصور المراد، وتصور المراد هو العلم بالمراد، فكان الإيجاد مستلزماً للإرادة، والإرادة مستلزمة للعلم، فالإيجاد مستلزم للعلم، ولأن المخلوقات فيها من الإحكام والإتقان ما يستلزم علم الفاعل لها، لأن الفعل المحكم المتقن يمتنع صدوره عن غير علم، ولأن من المخلوقات ما هو عالم، والعلم صفة كمال، ويمتنع أن لا يكون الخالق عالماً)[5]، ثم إن البداهة قاضية بأن العلم صفة كمال في الموجودات الممكنة، ومن الممكنات من هو عالم، فلو لم يكن الواجب عالماً لكان في الموجودات الممكنة ما هو أكمل من الموجود الواجب وهو محال[6].

ولأجل ذلك ذهب أئمة العلم من أهل السنة والجماعة إلى تقرير تلك المعاني السابقة فأثبتوا صفة العلم لله تعالى، قال الدارمي[7]: (واعلموا أن الله عزّ وجل لم يزل عالماً بالخلق وأعمالهم قبل أن يخلقهم، ولا يزال بهم عالماً، لم يزد في علمه بكينونة الخلق خردلة واحدة، ولا أقل منها ولا أكثر، ولكن خلق الخلق على ما كان في نفسه

---

(1) سورة النساء، الآية (٣٢).
(2) سورة الأعراف، الآية (٨٩).
(3) سورة الأنعام، الآية (٥٩).
(4) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤٧-١٤٨.
(5) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، ص٧٩-٨٠.
(6) انظر: رسالة التوحيد، تأليف الشيخ محمد عبده، ص٣٠.
(7) هو عبدالله بن عبدالرحمن بن الفضل التميمي الدارمي، أبومحمد الحافظ، صاحب المسند، روى عنه مسلم والبخاري، كان غاية في العقل والحفظ والديانة والعبادة، عالم بالحديث والآثار والفقه والتفسير، أظهر السنة ودعا إليها وذبّ عنها، له المسند في الحديث المسمى "سنن الدارمي"، ولد سنة١٨١هـ، وتوفي سنة٢٥٥هـ، انظر: ترجمته في تهذيب التهذيب، لابن حجر ٢٩٤/٥، الأعلام٩٥/٤.

قبل أن يخلقهم ومن عنده بدأ العلم، وهو علَّم الخلق ما لم يعلموا فقال تعالى:(عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ[1].

وقال تعالى:(وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا)[2] وقال:(هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)[3]، وما أشبه هذا في كتاب الله تعالى)[4].

وقرر ذلك الشيخ حافظ بن أحمد حكمي بقوله: (ومما أثبته الله عزّ وجل لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم أنه عليم بعلم وأن علمه محيط بجميع الأشياء من الكليات والجزئيات وهو من صفاته الذاتية، وعلمه أزلي بأزليته، وكذلك جميع صفاته، فقد علم تعالى في الأزل جميع ما هو خالق وعلم جميع أحوال خلقه)[5]، وقد عقد ابن خزيمة باباً في ذلك قال فيه: (باب ذكر إثبات العلم لله جل وعلا)[6].

ويتقرر من ذلك أن صفة العلم صفة ذات ثابتة لله عزّ وجل وأن من أنكرها فهو راد لكتاب الله وجاحد بآياته الدالة على ذلك وهذا بخلاف ما عليه السلف وأئمة أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

٣/ صفة القدرة.

مما هو مدرك بداهة أن خالق هذا الكون لابد أن يكون ذا قوة وقدرة، وإلا لما صدرت عنه أشياء ذات قوى وقُدَر، والقدرة هي صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة أي أنها صفة وجودية من شأنها أن يكون لها أثر، كإيجاد الأشياء الممكنة، أو إعدامها، أو التصرف في الموجودات بجمعها، أو تفريقها، أو تحويلها أو نحو ذلك[7].

والله سبحانه وتعالى قادر مقتدر، وقد وصف نفسه بهذا الوصف أوهذه الصفة في القرآن الكريم في عدة مواقع فقال تعالى:(لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ

---

(1) سورة العلق، الآية (٥).
(2) سورة النساء، الآية (١٧).
(3) سورة الحشر، الآية (٢٢).
(4) انظر: الرد على الجهمية، للإمام أبي سعيد الدارمي ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص٣١١-٣١٢.
(5) معارج القبول بشرح سلم الوصول على علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمي ١٤٧/١.
(6) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجل، تأليف الحافظ محمد بن إسحق بن خزيمة، مكتبة الكليات الأزهرية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م)، ص٩.
(7) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤١.

وَالْأَرْضِ ۖ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)[1]، وقال تعالى:(وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا)[2]، وقال:(إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)[3]، وقال:(إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[4]، وغيرها من الآيات المثبتة لقدرة الله وقوته إلا أن قدرة الله لا تشبه من قريب ولا من بعيد قدراتنا نحن البشر، لأن قدرته تعالى قدرة كاملة تتعلق بجميع الكائنات، غير مستمدة من شيء، إذ هي من صفات الألوهية، أما قدراتنا فهي قدرات محدودة ناقصة، مستمدة من غيرها، إذ هي من صفات المخلوقات[5]، وبالتالي فالذي يوجبه علينا الإيمان هو أن نعلم أنه تعالى موجود لا يشبه الكائنات، أزليٌّ، أبديٌّ، حي، عالم، مريد، قادر، منفرد في وجوب وجوده، وفي كمال صفاته جميعاً[6].

وقد أثبت أئمة أهل العلم من أهل السنة والجماعة هذه الصفة لله، يقول الشيخ حافظ الحكمي:(القدير الذي له مطلق القدرة وكمالها وتمامها، الذي ما كان ليعجزه من شيء في الأرض ولا في السماء)[7]، ويقول ابي حنيفة: (فالحياة صفة أزلية تقتضي صحة العلم لموصوفها، والقدرة... صفة أزلية تؤثر في المقدروات عند تعلقها بها)[8]، ويقول كذلك: (لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته، لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالماً بعلمه والعلم صفة في الأزل، قادراً بقدرته والقدرة صفة في الأزل...)[9].

وأما الإمام البيهقي فقد أثبت صفة القدرة لله تعالى واستدل على ذلك من القرآن بقوله تعالى:(بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ)[10] وقوله كذلك:(وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ)[1]، حيث أثبت أن لله قدرة وهي من صفات ذاته تعالى[2].

---

(1) سورة الحديد، الآية (٢).
(2) سورة الكهف، الآية (٤٥).
(3) سورة الذاريات، الآية (٥٨).
(4) سورة الأنفال، الآية (٥٢).
(5) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤١.
(6) انظر: رسالة التوحيد، محمد عبده، ص٤١.
(7) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد حكمي ٧٦/١.
(8) شرح كتاب الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، شرح الإمام الملأ علي القارئ، ص٣٣.
(9) نفس المرجع، ص٤٥.
(10) سورة القيامة، الآية (٤).

ويتضح من ذلك أن صفة القدرة من صفات الذات العقلية الثابتة بالقرآن ودلالة العقول فوجب إثباتها لله عزّ وجل كسائر الصفات.

٤/ صفة الإرادة أو المشيئة.

مما يجب لواجب الوجود الإرادة، وهي صفة تخصص فعل العالم بأحد وجوهه الممكنة، أي أنها صفة من شأنها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه في العقل[٣].

فبعد ما ثبت أن واهب وجود الممكنات هو الواجب، وأنه عالم، وأن ما يوجد من الممكن لابد أن يكون على وفق علمه، ثبت بالضرورة أنه مريد، لأنه إنما يفعل على حسب علمه، ثم إن كل موجود فهو على قدر مخصوص وصفة معينة، وله وقت ومكان محدودان، وهذه وجوه قد خصصت له دون بقية الوجوه الممكنة، وتخصيصها كان على وفق العلم بالضرورة، ولا معنى للإرادة إلا هذا[٤]، ثم إننا نلاحظ أنفسا فنرى أن لنا إرادات جزئية محدودة، فإذا أردنا عملاً ما من الأعمال إرادة جازمة، توجهت قدراتنا في داخلنا إلى تنفيذ ما أردنا عمله، كما أننا إذا لم نرد عملاً ما، لم تتوجه قدراتنا إلى تنفيذ ذلك العمل، والله الخالق لا يمكن أن يهبنا صفة الإرادة الجزئية المحدودة ويكون هو غير مريد ولا مختار، ولذلك فإن صفة الإرادة وهي من صفات الكمال عقلاً لابد أن تكون من صفات الله سبحانه وتعالى الذي خلقنا ومنحنا صفة الإرادة الجزئية المحدودة وأن إرادة الله جلّ وعلا ليست مثل إرادتنا الصغيرة المحدودة، بل هي إرادة شاملة تتعلق بما يريده الخالق من جميع الأمور الممكنة عقلاً، وقد وصف الله نفسه في القرآن بأنه مريد مختار حيث قال تعالى:(وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ)[٥]، وقال تعالى:(وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ)[٦]، وقوله تعالى:(فِي أيِّ

---

(١) سورة المؤمنون، الآية (٩٥).
(٢) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٦٥، الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٥٥.
(٣) انظر: رسالة التوحيد، محمد عبده، ص٣٢، العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤٧.
(٤) رسالة التوحيد، محمد عبده، ص٣٣.
(٥) سورة القصص، الآية (٦٨).
(٦) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ)[1]، وقال تعالى:(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ)[2]، وقال:(فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)[3].

فهذه الآيات صريحة الدلالة في الإرادة والمشيئة لله عزّ وجل من غير تأويل أو تحريف[4]، فالإرادة أو المشيئة من الصفات الذاتية وهي تخصص أحد طرفي الشيء من الفعل والترك بالوقوع في أحد الأوقات، فإنه تعالى مريد بإرادته القديمة ما كان وما يكون، فلا يكون في الدنيا ولا في الآخرة صغير أو كبير، قليل أو كثير، خير أو شر، نفع أو ضر، إيمان أو كفر إلا بإرادته ووفق حكمته وطبق تقديره وقضائه في خليقته، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فهو الفعال لما يرد كما يريد لا راد لما أراد ولا معقب لما حكم في العباد، ولا مهرب عن معصيته إلا بإرادته ومعونته، ولا مكسب لعبد في طاعته إلا بتوفيقه ومشيئته، فلا حول ولا قوة إلا بالله[5]، وفي ذلك يقول القاسمي: (وأنه تعالى مريد للكائنات، مدبر للحادثات، فلا يجري في الملك والملكوت أمر إلا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، لا راد لأمره، ولا معقب لحكمه)[6].

ويظهر مما سبق أن صفة الإرادة ثابتة لله تعالى عقلاً وشرعاً، كما أثبتها أهل العلم المنتسبين إلى مذهب أهل السنة والجماعة وأن الإرادة وفق هذا المفهوم هي الإرادة القدرية الكونية التي أشار إليها الشيخ حافظ الحكمي بقوله: (ولا يكون في الكون غير ما يريد)، ثم يقول: (والمراد بالإرادة هنا الإرادة القدرية الكونية التي لابد لكل شيء منها ولا محيص ولا محيد لأحد عنها، وهي مشيئة الله الشاملة، وقدرته النافذة، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن)[7].

---

(1) سورة الانفطار، الآية (٨).
(2) سورة النساء، الآية (٢٦).
(3) سورة البروج، الآية (١٦).
(4) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤٦، البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٦٦.
(5) كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبوحنيفة النعمان بن ثابت، شرحه ملأ علي القارئ، ص١٨.
(6) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، للإمام محمد جمال الدين القاسمي ٤٤/١.
(7) معارج القبول، لحافظ بن أحمد حكمي ١٢٩/١.

ومما سبق ذكره يتضح أن الفرق بين صفتي القدرة والإرادة أن الإرادة صفة من شأنها تخصيص الموجود ببعض ما يجوز عليه في العقل، كالوجود والعدم، وأما القدرة فهي صفة من شأنها تنفيذ ما خصصته الإرادة، كإخراج الممكن من العدم إلى الوجود فعلاً إذا توجهت الإرادة لإيجاده، أو صرفه من الوجود إلى العدم إذا توجهت الإرادة لإعدامه، كما قال تعالى:(إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)[1]، فهذه الآية تدل على أن تنفيذ الإيجاد إنما يكون بعد تخصيص الإرادة، وقوله تعالى:(وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ)[2]، يدل أيضاً على أن جمعهم بقدرته تعالى إنما يكون بعد مشيئته[3]، وإذا تبين ذلك فعلينا أن ندرك أن إرادة الله هي الغالبة وأن مشيئته هي النافذة، فلا قدرة لأحد على تحقيق مراد لم يرده الله، أو دفع مراد أراده الله في كونه، وبذلك نرح أنفسنا بالرضا عن مراد الله تعالى لتتحقق لنا السعادة في الدنيا والآخرة.

٥-٦/ صفتي السمع والبصر.

مما ثبت لله عزّ وجل بالنقل والعقل صفة البصر، وهي ما به تنكشف المبصرات، وصفة السمع وهي ما به تنكشف المسموعات، فهو السميع البصير، وهما من الصفات الثابتة بالقرآن حيث قال تعالى:(فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[4]، وقال تعالى:(وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا)[5]، يقول ابن خزيمة: (الذي وصف نفسه سميع بصير، ومن كان معبوده غير سميع بصير فهو كافر بالله السميع البصير، يعبد غير الخالق الباري الذي هو سميع بصير)[6]، ثم استدل من القرآن بقوله تعالى:(لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ)[7]، وقوله تعالى:(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

---

(1) سورة النحل، الآية (٤٠).
(2) سورة الشورى، الآية (٢٩).
(3) انظر: العقيدة الإسلامية وأسسها، عبدالرحمن حسن الميداني، ص١٤٧.
(4) سورة غافر، الآية (٥٦).
(5) سورة النساء، الآية (١٣٤).
(6) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة ١٠٦/١.
(7) سورة آل عمران، الآية (١٨١).

)[1]، ثم قال ابن خزيمة: (فقد أعلمنا ربنا عزّ وجل أنه سمع قول من قالوا إنه فقير ورد ذلك عليهم وأخبر أنه الغني وهم الفقراء وأعلم عباده المؤمنين أنه السميع البصير، كما قال لموسى وأخيه هارون:(قَالَ لَا تَخَافَا ۖ إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ)[2]، فأثبت لنفسه السمع والبصر.

وحول هذا المعنى يقول القاسمي: (وأنه تعالى سميع بصير، ولا يعزب عن سمعه مسموع وإن خفي، ولا يغيب عن رؤيته مرئي وإن دق، ولا يحجب سمعه بعد، ولا يدفع رؤيته ظلام، لا يشبه سمعه وبصره سمع وبصر الخلق، كما لا تشبه ذاته ذات الخلق)[3]، ويقول الشيخ حافظ الحكمي: (إثبات البصر لله تعالى المحيط بجميع المبصرات، وإثبات السمع له المحيط بجميع المسموعات، وهاتان الصفتان من صفات ذاته تعالى وهما متضمن اسميه السميع البصير)[4].

فالسمع والبصر من الصفات الذاتية الثابتة لله تعالى، فإنه تعالى سميع بالأصوات والحروف والكلمات بسمعه القديم الذي هو نعت له في الأزل، وبصير بالأشكال والألوان بإبصاره القديم الذي هو صفة له في الأزل، فلا يحدث له سمع بحدوث مسموع ولا بصر بحدوث مبصر فهو السميع البصير[5].

ويظهر مما سبق أنه الله سبحانه وتعالى قد أثبت لنفسه صفتي السمع والبصر كما هو في القرآن الكريم وهذا هو المنهج الذي عليه أئمة أهل السنة والجماعة وكذلك من سار على نهجهم وسلك طريقتهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

٧ / صفة الكلام.

---

(1) سورة المجادلة، الآية (١).
(2) سورة طه، الآية (٤٦).
(3) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، للإمام محمد جمال الدين القاسمي ٤٤/١.
(4) معارج القبول ١٤٤/١.
(5) انظر: كتاب الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، ص١٨، ٣٨، كتاب التوحيد، لابن خزيمة ٢٥/١.

إن مسألة كلام الله[1] تعالى وكونه محدثاً أو قديماً من أكثر الموضوعات التي دار حولها الجدل بين الفرق[2]، ولقد كانت هذه القضية هي السبب في محنة الإمام أحمد
بن حنبل رضي الله عنه[3].
بل ربما ترجع تسمية علم الكلام إلى هذه المشكلة كون كلام الله محدث أم قديم، إلا أن الذي عليه السلف وأئمة أهل العلم من أهل السنة والجماعة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ولا محدث وفي ذلك يقول ابن تيمية: (ومن الإيمان به وبكتبه الإيمان بأن القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، وأن الله تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم هو كلام الله حقيقة، لا كلام غيره...، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه في المصاحف، لم يخرج بذلك عن أن يكون كلام الله حقيقة، فإن الكلام إنما يضاف حقيقة إلى من قاله مبتدئاً لا إلى من قاله مبلغاً مؤدياً)[4]، ثم يقول كذلك: (ومذهب سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة

---

(1) كلام الله صفة ثابتة له بالكتاب والسنة، ولم يقع في ذلك خلافاً إلا في أوائل القرن الثاني الهجري، حيث أظهره الجعد بن درهم، المتوفي سنة ١٢٤هـ، فأنكر كون الله متكلماً، فيما نفى صفات الله عزّ وجل، وقد ترتب على قوله هذا بدعة خلق القرآن، ولقد حمل لواء هذه البدعة بعد الجعد بن درهم، الجهم بن صفوان، المتوفي سنة ١٢٨هـ، وفي أوائل القرن الثالث الهجري أظهرها بشر المريس من المعتزلة، المتوفي سنة ٢١٨هـ، وأحمد بن أبي داوؤد، المتوفي سنة ٢٤٠هـ، وزينها للخليفة المأمون حتى اعتنقها وحمل الناس عليها، ثم خلفه أخوه المعتصم فدعا الناس إليها إلى أن توفي سنة ٢٣٢هـ، ثم تولى الخلافة أخوه الواثق حتى مات هو كذلك، ثم تولى أمر الخلافة أخوه المتوكل فرفع هذه الفتنة سنة ٢٤٧هـ، انظر: الرد على الجهمية، للإمام الدارمي، ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص٢٥٨، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة ٣٢٩/١.

(2) اتفقت الفرق على كونه تعالى متكلماً ولكنهم اختلفوا في معنى الكلام، فقالت المعتزلة معنى كونه متكلماً أنه خالق الكلام في غيره، فقالوا بخلق القرآن، وقالت الكلابية والأشعرية إن كلامه معانٍ قديمة قائمة بذاته ليست بحرف ولا صوت وابتدعوا الكلام النفسي، وقال سلف هذه الأمة إن كلامه تعالى صفة فعل يتكلم بها متى شاء وكيف شاء، وإن كلامه حروف لا أصوات يسمعها من يشاء من خلقه، لا يشبه كلام المخلوقين وهو غير مخلوق، انظر: كتاب التوحيد، لابن خزيمة ١٣٨/١ مع الهامش.

(3) في علم الكلام، تأليف د.أحمد محمود صبحي، ص١٣٠.

(4) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، ص١٨٧.

المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم ما دلّ عليه الكتاب والسنة، وهو الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود)[1][2].

فالسلف أثبتوا أن القرآن كلام الله صفة له غير مخلوق واستدلوا على ذلك من القرآن بقوله تعالى:(قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا)[3]، وقوله تعالى:(وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ)[4]، وقوله تعالى:(أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)[5]، وقوله تعالى:(تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ)[6]،وقوله تعالى:(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)[7]،وقوله تعالى:(وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّه)[8]

وقوله تعالى:(وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ)[9]، وقوله تعالى:(سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ ۚ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ

([1]) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣٨/١٢.

([2]) لقد كانت الجهمية الأولى من المعتزلة تقول: إن القرآن كلام الله مخلوق، أما الجهمية الحديثة المتمثلة في الاستشراق وأتباعه، والتبشير وأذنابه، فإنها تقول ببشرية القرآن أي أن القرآن مصنوع ومؤلف، قام بتأليفه محمد وهو مرآه لأفق خاص من الحياة هو أفق الحياة في شبه الجزيرة العربية وفي مكة بوجه خاص، وهو قول مردود بالقرآن والسنة وإجماع السلف قديماً وحديثاً، انظر: شرح المقاصد ٤٢/١.

([3]) سورة الكهف، الآية (١٠٩).

([4]) سورة لقمان، الآية (٢٧).

([5]) سورة البقرة، الآية (٧٥).

([6]) سورة البقرة، الآية (٢٥٣).

([7]) سورة النساء، الآية (١٦٤).

([8]) سورة الأعراف، الآية (١٤٣).

([9]) سورة التوبة، الآية (٦).

قالَ اللَّهُ مِنْ قبْلُ)[1]، قال البيهقي: (فهذه الآيات دالة على أن القرآن كلام الله)[2].
وهذا هو ما قرره علي بن أبي العز في شرحه على الطحاوية حيث قال: (وإن القرآن كلام الله منه بدأ بلا كيفيه قولاً، وأنزله على رسوله وحياً، وصدقه المؤمنون على ذلك حقاً، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة ليس بمخلوق ككلام البرية)[3].
ثم أوضح أن هذا هو القول المأثور عند أهل السنة والجماعة وأئمة أهل العلم بقوله: (لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً، فهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة)[4].
وحق لابن أبي العز أن يقول بذلك فها هو القاسمي يقول: (وأنه تعالى متكلم آمر ناه، واعد متوعد، وأن القرآن والتوراة والإنجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام، وأنه تعالى كلم موسى عليه السلام بكلامه الذي هو صفة ذاته لا خلق من خلقه، وأن القرآن كلام الله ليس بمخلوق فيبيد، ولا صفة لمخلوق فينفد)[5].
ويقول ابن تيمية: (إنه لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء، بكلام يقوم به وهو يتكلم به بصوت يسمع، وأن نوع الكلام أزلي قديم، وإن لم يجعل نفس الصوت المعين قديماً، وهذا هو المأثور عن أئمة الحديث والسنة)[6]، ثم يقول: (وبالجملة أهل السنة والجماعة، أهل الحديث ومن انتسب إلى السنة والجماعة من أهل التفسير والحديث والفقه والتصوف، كالأئمة الأربعة وأتباعهم، والطوائف المنتسبين إلى الجماعة...، يقولون: إن كلام الله غير مخلوق والقرآن كلام الله غير مخلوق، وهذا هو المتواتر المستفيض عن السلف)[7].
والآيات في هذا الباب كثيرة جداً، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته يشهد بأنه كلام الله وتنزيله وقصصه وتعليمه وألفاظه ومعانيه،

---

(1) سورة الفتح، الآية (١٥).
(2) الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٢٣٧، البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٦٧.
(3) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لعلي بن أبي العز الحنفي، ص١٠٤.
(4) نفس المرجع، ص١٠٥.
(5) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين، للقاسمي ٤٤/١.
(6) منهاج السنة النبوية ٣٦٣/٢.
(7) نفس المرجع والصفحة.

وإيجازه وإعجازه، يرشد إلى أنه كلام الخالق عزّ وجل وصفته، وأنه لا يستطيع البشر الإتيان بسورة من مثله)[1]. وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في إثبات هذه الصفة لله كما يقول ابن تيمية: (ونحن وجميع أهل السنة والجماعة نشهد الله الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونشهد ملائكته الذين شهدوا بذلك، ونشهد رسوله الذي أنزل عليه وبلغه إلى الأمة، ونشهد جميع المؤمنين الذين صدقوه وآمنوا به، أنا مؤمنون مصدقون شاهدون بأنه كلام الله عزّ وجل وتنزيله وأنه تكلم به قولاً وأنزله على رسوله وحياً)[2].

وأما الإمام البخاري فقد عقد باباً لهذه المسألة قال فيه: (باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام الله عزّ وجل)[3]، ثم نقل لنا إجماع السلف على أن القرآن كلام الله غير مخلوق قائلاً: (حيث كانوا يقولون القرآن كلام الله وليس بمخلوق)[4]، وكلامه أعظم من خلقه، لأنه يقول للشيء كن فيكون بكلام وكلامه هو القرآن[5]، ولذلك قال: (وكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق، فإنه يُعلم ويرد جهله إلى الكتاب والسنة، فمن أبى بعد العلم به، كان معانداً)[6].

بل نجده قد أوضح هذه المسألة بصورة أوضح عندما يقول: (وكذلك جميع القرآن هو قوله، والقول صفة للقائل موصوف به، فالقرآن قوله الله عزّ وجل، والقراءة والكتابة والحفظ للقرآن هو فعل الخلق لقوله تعالى:(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ)[7]، وقوله تعالى:(فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ)[8]، والقراءة فعل الخلق، وهو طاعة الله، والقرآن ليس هو بطاعة، إنما هو الأمر بالطاعة ودليله قوله تعالى:(وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)[9]...، ولذلك قال:(وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)[10]، فالصلاة بجملتها طاعة الله وقراءة القرآن

---

(1) نفس المرجع ١٦٦/١.
(2) نفس المرجع ١٦٧/١.
(3) خلق أفعال العباد، للإمام البخاري ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص١١٧.
(4) نفس المرجع والصفحة.
(5) المرجع السابق، ص١٢٤.
(6) المرجع السابق، ص١٥٤.
(7) سورة المزمل، الآية (٢٠).
(8) سورة المزمل، الآية (٢٠).
(9) سورة القمر، الآية (١٧).
(10) سورة البقرة، الآية (٤٣).

من جملة الصلاة، فالصلاة طاعة الله، والأمر بالصلاة قرآن وهو مكتوب في المصاحف، ومحفوظ في الصدور، مقروء على اللسان، والقراءة والحفظ والكتابة مخلوق، وما قرئ وحفظ وكتب ليس بمخلوق)[1].

وأما الإمام الدارمي فقد أثبت صفة الكلام لله عزّ وجل بقوله: (فالله المتكلم أولاً وآخراً، لم يزل له الكلام، إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذ لا يبقى متكلم غيره، فيقول: أنا الملك أين ملوك الأرض؟ فلا ينكر كلام الله عزّ وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عزّ وجل، وكيف يعجز عن الكلام من علم العباد الكلام وأنطق الأنام؟! فقال الله في كتابه:(وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا)[2]، فهذا لا يحتمل تأويلاً غير نفس الكلام.

وأما الإمام ابن خزيمة فقد عقد باباً لإثبات هذه الصفة قائلاً: (باب ذكر تكليم الله كليمه موسى خصوصية خصه الله بها من بين الرسل بذكر)[3] ويقول الإمام أبوحنيفة: (القرآن كلام الله تعالى في المصاحف مكتوب، وفي القلوب محفوظ، وعلى الألسن مقروء، وعلى النبي صلى الله عليه وسلم منزَّل، ولفظنا بالقرآن مخلوق، وكتابتنا له مخلوقة، وقراءتنا له مخلوقة، والقرآن غير مخلوق)[4].

ويبدو من العرض السابق أن الإجماع منعقد عند أهل العلم من أهل السنة والجماعة على أن القرآن كلام الله تعالى وأن السلف يثبتون أن الله متكلم وكلامه قديم وهو صفة له سبحانه وتعالى، وأن كلامه غير مخلوق ولا مختلق ولا حادث ولا محدث وأنه تكلم به حقيقة ولذلك نجدهم استدلوا كذلك من السنة بقوله صلى الله عليه وسلم: (احتج آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه.... الحديث)[5].

---

(1) خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للإمام البخاري ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص٢١٣.

(2) سورة النساء، الآية (١٦٤).

(3) كتاب التوحيد، لابن خزيمة ١٢٥/١.

(4) شرح كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة، مرجع سابق، ص٤٧-٤٨.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، "فتح الباري"، كتاب التوحيد، باب ما جاء في قوله عزّ وجل (وكلم الله موسى تكليماً)، حديث رقم٧٥١٥، ٤٧٧/١٣، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم٥٦٥٢، ٢٠٤٢/٤.

ووجه الاستدلال في الحديث قوله: (أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه)، وكذلك استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله، ليس بينه وبينه ترجمان) [1].

يقول الشيخ حافظ الحكمي بعد أو أورد هذه الأحاديث: (فأي كلام أفصح من كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، وأي بيان أوضح من بيان الله ورسوله...، وفي هذا أعلى دلالة وأبينها وأوضحها على ثبوت صفة الكلام لربنا عزّ وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يُسمعه من يساء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد)[2].

ويظهر مما سبق ذكره أن السلف يثبتون أن القرآن كلام الله غير مخلوق وأنه صفة من صفان ذاته كسائر الصفات كما دلّ القرآن والسنة الصحيحة على ذلك، وأن منهجهم هو المنهج الأسلم لموافقته كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثانياً: صفات الفعل العقلية.

صفات الفعل العقلية هي القسم الثاني من الصفات العقلية التي ورد بها السمع مع دلالة العقل عليها كذلك، ولقد أوضحنا من قبل أن هذا التقسيم للصفات هو ما عليه السلف وهو الذي ذهب إليه البيهقي بقوله: (صفات الله قسمان: أحدهما: صفات ذاته، وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، والآخر: صفات فعله، وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ونحو ذلك من صفات ذاته، وكالخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، والعفو، والعقوبة، ونحو ذلك من صفات فعله)[3].

ويبدو واضحاً من تقسيم البيهقي السابق أن صفات الذات تشمل صفة الحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ونحو ذلك وهي ما ثبت لنا على وجه التفصيل فيما تقدم، وأما صفات الفعل فتشمل الخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والعفو،

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه،، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، حديث رقم١٠١٦، ٧٠٣/٢.

(2) معارج القبول، لحفاظ بن أحمد حكمي ١٥٦/١.

(3) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٥١.

والعقوبة، ونحوها من صفات فعله، ومنهج السلف لإثبات هذه الصفات يقوم على القرآن والسنة ولذلك استدلوا لإثبات هذه الصفات من القرآن بقوله تعالى:(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ)[1]، وقوله تعالى:(وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا)[2]، وقوله تعالى:(وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ)[3].

وأما من السنة فقد استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء)[4].

قال البيهقي: (فأثبت لنفسه الخلق والإحياء والإماتة وتقدير كل شيء فدلّ ذلك على ثبوت صفات الأفعال له سبحانه وتعالى)[5].

ولقد أوضح القاسمي معنى ثبوت هذه الصفات لله عزّ وجل بصورة فيها شيء من التفصيل حيث قال: (يراد بصفة الذات ما تكون لازمة للذات أزلاً وأبداً لا يتصور انفكاكها عنها، وذلك كصفة الحياة والقدرة والعلم والعزة والعظمة والكبرياء والجلال...إلخ، ويراد بصفة الفعل ما يفعله سبحانه بذاته بمشيئته وقدرته من أفعال على وفق علمه وحكمته كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والحب والرضى والكراهة والمقت، والنزول والاستواء... والمجيء والإتيان...إلخ)، ثم قال: (والذي كان عليه سلف هذه الأمة إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات، لا فرق بين صفة الذات وصفة الفعل)[6].

ويبدو واضحاً مما سبق ذكره أن السلف يثبتون صفات الفعل للمولى عزّ وجل كما أثبتها لنفسه في كتابه الكريم وأثبتها له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته الثابتة الصحيحة، والسلف بذلك خالفوا

---

(1) سورة غافر، الآية (٦٢).
(2) سورة الفرقان، الآية (٢).
(3) سورة الروم، الآية (٢٧).
(4) أخرجه البخاري في صحيحه، "فتح الباري"، كتاب التوحيد، باب وكان عرشه على الماء، حديث رقم٧٤١٨، ٤٠٣/١٣، مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم٢٦٥٣، ٢٠٤٤/٤.
(5) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص١٨٤.
(6) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٥٧-٥٨.

علماء الكلام الذين ذهبوا إما إلى التعطيل أو التأويل في غالب هذه الصفات[1].

البند الثاني: الصفات الخبرية.

هذه الصفات هي القسم الثاني من الصفات الثابتة للمولى عزّ وجل وإنما سميت بالصفات الخبرية لأن طريق إثباتها لله تعالى هو الخبر الصادق الذي جاء به الكتاب أو السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما العقول فليس لها دور في إثبات هذه الصفات سوي التصديق بها بعد ثبوتها بطريق النقل[2]، وهذا هو المنهج الذي عليه السلف والذي أوضحه الإمام البيهقي بقوله: (صفات الله قسمان: أحدهما: صفات ذاته، وهو ما استحقه فيما لم يزل ولا يزال، والآخر: صفات فعله، وهي ما استحقه فيما لا يزال دون الأزل، ثم منه ما اقترنت به دلالة العقل كالحياة، والقدرة، والعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، والكلام، ونحو ذلك من صفات ذاته، وكالخلق والرزق، والإحياء، والإماتة، والعفو، والعقوبة، ونحو ذلك من صفات فعله، ومنه ما كان طريقة إثباته ورود خبر الصادق به فقط، كالوجه واليدين، والعين من صفات ذاته، وكالاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك من صفات فعله)[3].

ويتضح من قوله: (... ومنه ما كان طريق إثباته ورود خبر الصادق به فقط، كالوجه واليدين، والعين من صفات ذاته، وكالاستواء على العرش، والإتيان والمجيء، والنزول، ونحو ذلك من صفات فعله)[4]، أن الصفات الخبرية تنقسم كذلك إلى قسمين هما: الصفات الذاتية، والصفات الفعلية، فالذاتية كالوجه، واليدين، والعين، والأصابع، والفعلية كالاستواء على العرش، والإتيان، والمجيء، والنزول، ونحو ذلك، وسنبدأ أولاً بصفات الذات الخبرية وأدلة السلف على إثباتها كما يلي:

أولاً: صفات الذات الخبرية.

١/ صفة الوجه.

---

(١) انظر: شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبدالجبار، ص١٩٥، الفرق بين الفِرق، للبغدادي، ص١٩٩.

(٢) انظر: البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص٢٢٥.

(٣) نفس المرجع، ص١٥١، الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٣٧-١٣٨.

(٤) كتاب الأسماء والصفات، للبيهقي، ص١٣٧.

لقد استدل السلف رضوان الله عليهم لإثبات هذه الصفة لله عزّ وجل بالقرآن والسنة الصحيحة، فمن القرآن قوله تعالى:(وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[1]، وقوله تعالى:(كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ)[2]، يقول ابن خزيمة: (باب ذكر إثبات وجه الله)[3]، ثم أورد الآيات السابقة مستدلاً بها ثم قال: (ونفي عنه الهلاك (أي عن وجهه) إذا أهلك الله ما قد قضى عليه بالهلاك مما قد خلقه الله للفناء لا البقاء، جل ربنا عن أن يهلك شيء منه مما هو من صفات ذاته)[4].

وأما الإمام البيهقي فقد استدلال كذلك بالآيات السابقة وأثبت صفة الوجه لله تعالى إثباتاً حقيقياً من غير تأويل ولا تحريف على وجه يليق بجلال الله وعظمته ولذلك قال في قوله تعالى: (وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) فأضاف الوجه إلى الذات وأضاف النعت إلى الوجه فقال:(ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)ولو كان ذكر الوجه صلة ولم يكن للذات صفة لقال: ذي الجلال والإكرام، فلما قال:(ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)علمنا انه نعت للوجه وهو صفة الذات)[5].

وهو ما ذهب إليه ابن كثير عند تفسيره للآية السابقة قائلاً: (وقد نعت تعالى وجهه الكريم في هذه الآية الكريمة بأنه ذو الجلال والإكرام، أي هو أهل أن يجل فلا يعصى، وأن يطاع فلا يخالف)[6].

وأما من السنة فقد استدل السلف بقوله صلى الله عليه وسلم: (جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن)[7]، وجه الاستدلال في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (إلا رداء الكبرياء على وجهه)[8].

قال ابن تيمية: (إن المقصود بالصفات الخبرية أو السمعية ما كان مصدرها ودليلها الخبر الصادق من آية قرآنية أو حديث نبوي، من

---

(1) سورة الرحمن، الآية (٢٧).
(2) سورة القصص، الآية (٨٨).
(3) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجل، لابن خزيمة ٢٤/١.
(4) كتاب التوحيد، لابن خزيمة ٢٤/١.
(5) الاعتقاد على مذهب السلف، للبيهقي، ص٦٩.
(6) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٢٧٤/٤.
(7) أخرجه البخاري في صحيحه،فتح الباري،كتاب التوحيد،باب(وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة)،حديث رقم١٣، ٧٤٤٤/٤٢٣، ومسلم، رقم١، ١٨٠/١٦٣.
(8) البيهقي وموقفه من الإلهيات، ص٢٣٣.

دون استناد إلى نظر عقلي، وذلك كاستواء الرحمن على العرش، ونزوله إلى السماء الدنيا...، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة بذكر وجه الله تعالى، واليد والعين وغير ذلك من الصفات الخبرية التي جاء بها الكتاب الكريم والسنة الثابتة)[1].

فالسلف يثبتون أن لله وجهاً بلا كيف كما هو ثابت بالقرآن والسنة النبوية، ولذلك رفضوا التأويل ورأوا أن فيه إبطال لصفات الله عزّ وجل الثابتة بالوحي ممثلاً في الكتاب والسنة.

٢/ صفة العين.

صفة العين من الصفات التي أثبتها السلف للمولى عزّ وجل وذلك لثبوتها بالقرآن والسنة الصحيحة ولذلك نجد أن الإمام ابن خزيمة عقد باباً أثبت فيه هذه الصفة لله عزّ وجل فقال: (باب ذكر إثبات العين لله جل وعلا على ما أثبته الخالق البارئ لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم)[2]، ثم أورد الأدلة من القرآن فقال: (قال تعالى لنبيه نوح صلوات الله عليه:(وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا)[3]، وقال تعالى:(تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ)[4]، وقال تعالى:(وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي) [5] وقال كذلك:(وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا)[6])، ثم قال: (فواجب على كل مؤمن أن يثبت لخالقه وبارئه ما أثبت الخالق البارئ لنفسه من العين)[7].

وهو ما قرره البيهقي بقوله: (باب ما جاء في إثبات العين صفة لا من حيث الحدقة)[8]، وفي هذا دليل على أن السلف يثبتون العين صفة لله تعالى بلا كيف وفق منهجهم الذي أوضحه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله في وصف معتقدهم في الله: (الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل، بل يؤمنون... بأن

---

(١) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٣٥.
(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة ٩٦/١.
(٣) سورة هود، الآية (٣٧).
(٤) سورة القمر، الآية (١٤).
(٥) سورة طه، الآية (٣٩).
(٦) سورة الطور، الآية (٤٨).
(٧) المرجع السابق، ص٩٧.
(٨) الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٣٩٥.

الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ولا يحرفون الكلم عن مواضعه ويلحدون في أسماء الله وآياته، ولا يمثلون صفاته بصفات خلقه، لأنه سبحانه لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ندّ له، ولا يقاس بخلقه سبحانه وتعالى)[1]، ولذلك نجده قد أنكر على المتكلمين تأويل صفات الله تعالى بحجة عدم التشبيه أو التمثيل فقال: (إن الكلام في الصفات نوع من الكلام في الذات، ويحتذي في حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري سبحانه، إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف، فإذا قلنا يد، وسمع، وبصر، وما أشبهها، فإنما هي صفات أثبتها الله تعالى لنفسه، ولسنا نقول: إن معنى اليد القوة أو النعمة، ولا معنى السمع والبصر العلم، ولا نقول إنها جوارح، ولا نشبهها بالأيدي وبالأسماع وبالأبصار التي هي جوارح وأدوات للفعل)[2].

وأما من السنة فقد استدل السلف بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد ذكر الدجال عنده فقال: (إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى...الحديث)[3]، وجه الاستدلال من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (إن الله ليس بأعور)، يقول ابن حجر: (وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله: (إن الله ليس بأعور) من جهة أن العور عرفاً عدم العين وضد العور ثبوت العين، فلما نزلت هذه النقيصة لزم ثبوت الكمال بضدها وهو وجود العين)[4].

ويتضح من ذلك أن السلف رضوان الله عليهم يثبتون العين صفة لله تعالى إثبات بلا تكييف ولا تمثيل، فهم لا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذوات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته لأن في ذلك تعطيل لصفات المولى عزّ وجل.

٣/ صفة اليدين.

---

(١) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٨٥.
(٢) الأصول الفكرية للمناهج السلفية، ص٢٢٠-٢٢١.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، "فتح الباري"، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (ولتصنع على عيني)، حديث رقم٧٤٠٧، ٣٨٩/١٣.
(٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، للحافظ ابن حجر العسقلاني (٧٧٣هـ-٨٥٢هـ)، ٣٩٠/١٣.

صفة اليدين إحدى صفات الذات الخبرية التي أثبتها السلف رضوان الله عليهم لله تعالى إثباتاً حقيقياً من غير كيفية ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل على وجه يليق بجلال الرب عزّ وجلن كما دلّ على ذلك القرآن والسنة النبوية ولذلك نجدهم استدلوا من القرآن بقوله تعالى:(قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ)[1]، وقوله تعالى:(وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ)[2]، وقوله تعالى:(أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ)[3]، وقوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ)[4]، وفي ضوء هذه الآيات نجد أن الإمام ابن خزيمة عقد باباً لإثبات اليد صفة لله تعالى قائلاً: (باب ذكر إثبات اليد للخالق البارئ جل وعلا)[5]، ثم قال: (والبيان أن الله تعالى له يدان، كما أعلمنا في محكم تنزيله أنه خلق آدم عليه السلام بيديه)

وأما الإمام البيهقي فقد أثبت أن اليدين صفة لله تعالى لا من حيث الجارحة وعقد باباً في ذلك قال فيه: (باب ما جاء في إثبات اليدين صفتين لا من حيث الجارحة لورود الخبر الصادق به)[6]، وأنكر على من تأول اليد بمعنى القوة أو القدرة والملك والنعمة قائلاً: (وقد قال بعض أهل النظر أن اليد تكون بمعنى القوة والملك والقدرة والنعمة والجارحة...، وقوله تعالى:(يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) فلا يجوز أن يحمل على الجارحة... ولا على القوة والملك والنعمة لأن الاستدلال يقع حينئذ بين وليه آدم وعدوه إبليس فيبطل ما ذكر من تفضيله عليه لبطلان معنى التخصيص)[7].

فالسلف يثبتون اليدين صفة لله وهما من صفات ذاته خلافاً لأهل التعطيل من الجهمية المعطلة وغيرهم، ولذلك يقول ابن حجر: (إن قوله تعالى: (يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ) إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن

---

(1) سورة "ص"، الآية (٧٥).
(2) سورة المائدة، الآية (٦٤).
(3) سورة يس، الآية (٧١).
(4) سورة الفتح، الآية (١٠).
(5) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجل ٥٣/١.
(6) الأسماء والصفات، للبيهقي، ص٣٩٩.
(7) المرجع السابق، ص٤٠٤.

بين آدم وإبليس فرق لتشاركهما في خلق كل منهما به وهي قدرته، ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق لأن النعم مخلوقة)[1].

وإذا ثبت ذلك فلم يبقى إلا أن نثبت أن لله يدين كما دلّ القرآن على ذلك[2].

وأما من السنة فقد استدل السلف بقوله صلى الله عليه وسلم: (احتج آدم وموسى فقال موسى: يا آدم أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة، فقال له آدم: أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده أتلومني على أمر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فحجَّ آدم موسى، فحجّ آدم موسى)[3]، ووجه الاستدلال في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم: (وخط لك بيده).

وقوله صلى الله عليه وسلم: (ما تصدق أحد بصدقة من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب، إلا أخذها الرحمن بيمينه، وإن كانت تمرة فتربو في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل، كما يُربي أحدكم فلوه أو فصيله)[4]، وقال صلى الله عليه وسلم: (يمين الله ملآى، لا يفضها سخاء الليل والنهار)[5]، والشاهد في الحديثين قوله: (بيمينه)، وقوله: (يمين الرحمن).

فهذه الأحاديث جميعها تدل على إثبات صفة اليدين لله عزّ وجل كما تقدم في القرآن.

---

(1) فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني ٣٩٣/١٣.

(2) انظر: الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٥٤١-٦٢٠هـ)، شرح فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الحيرين، دار الأفهام، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م)، ص٦٣ وما بعدها.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم ٢٦٥٢، ٢٠٤٢/٤

(4) أخرجه مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، حديث رقم١٠١٤، ٧٠٢/٢.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، حديث رقم٩٩٣، ٦٩١/٢.

ويتقرر من العرض السابق أن صفة اليدين ثابتة لله عزّ وجل بالكتاب والسنة وهذا هو ما ذهب إليه أئمة أهل العلم من أهل السنة والجماعة.

٤/ صفة الأصابع.

هذه الصفة من صفات الذات الخبرية الثابتة لله عزّ وجل بالسنة النبوية ولذلك أثبتها السلف من غير تأويل ولا تحريف ولا تكييف ولا تمثيل واستدلوا على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (إن قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء)، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك)[١]، وقد استدل ابن خزيمة بهذا الحديث وأثبت صفة الأصابع لله عزّ وجل حيث عقد باباً في ذلك قال فيه: (باب إثبات الأصابع لله عزّ وجل من سنة النبي صلى الله عليه وسلم قولاً له لا حكاية عن غيره)[٢]، ثم قال: (جلّ ربنا عن أن تكون أصابعه كأصابع خلقه، وعن أن يشبه شيء من صفات ذاته صفات خلقه)[٣].

ويبدو واضحاً من قول ابن خزيمة أن منهج السلف في باب أسماء الله وصفاته يقوم على الإثبات بلا تشبيه ولا تمثيل، والتنزيه كذلك بلا إنكار أو تعطيل لمدلول أو مفهوم الصفة أو الاسم، كما يقول ابن أبي العز في شرحه على الطحاوية: (خصائص الرب تعالى لا يوصف بها شيء من المخلوقات، ولا يماثله شيء من المخلوقات في شيء من صفاته كقوله تعالى:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[٤]، فقوله:(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) رد على الممثلة المشبهة، وقوله: (وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) رد على النفاة المعطلة)[٥].

وهذا المنهج السلفي هو الذي أوضحه ابن تيمية بقوله: (وقول السلف في الصفات التي يوهم ظاهرها التشبيه، أي مشابهة الله لمخلوقاته كما هو في شأن الصفات الخبرية، قولهم أمروها كما جاءت

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب القدر، باب تصريف الله تعالى للقلوب كيف يشاء، حديث رقم٢٦٥٤، ٢٠٤٥/٥.
(٢) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة ٧٩/١.
(٣) نفس المرجع ٧٦/١.
(٤) سورة الشورى، الآية (١١).
(٥) شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لابن أبي العز الحنفي، ص٣٩.

بلا كيف، فقولهم بلا كيف ليس معناه أن المعنى غير معقول، بل المراد معناه معلوم وكيفيته غير معلومة)[1].

ثانياً: صفات الفعل الخبرية.

١/ صفة الاستواء على العرش.

صفة الاستواء من الصفات الثابتة لله عزّ وجل بنص القرآن والسنة النبوية ولما كان منهج السلف في الأصل يقوم على الاستدلال بالقرآن والسنة فقد أثبتوا هذه الصفة لله إثباتاً حقيقياً يليق بجلاله وكماله ولم يذهبوا إلى تأويلها كما فعل المعتزلة وبعض متأخري الأشاعرة، ولذلك نجدهم استدلوا من القرآن بقوله تعالى:(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)[2]، وقوله تعالى:(ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)[3]، وقوله:(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)[4]، وقوله تعالى:(اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ)[5]، إلى غير ذلك من الآيات المثبتة لمعنى الاستواء على العرش والتي استدل بها السلف لإثبات هذه الصفة لله عزّ وجل، قال ابن خزيمة: (باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه)[6]، ثم أورد بعد ذلك هذه الآيات فأثبت بها صفة الاستواء ثم أردف قائلاً: (فنحن نؤمن بخبر الله جلّ وعلا أن خالقنا مستو على عرشه لا نبدل كلام الله ولا نقول قولاً غير الذي قيل لنا)[7].

وأما الإمام أحمد بن حنبل فقد قال: (بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش)[8]، ثم قال: (فقلنا لهم: أنكرتم أن يكون الله على العرش، وقد قال تعالى: (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)، وقال:(إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى

---

(١) الأصول الفكرية للمناهج السلفية عند شيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٣٩ مع الهامش.
(٢) سورة طه، الآية (٥).
(٣) سورة الفرقان، الآية (٥٩).
(٤) سورة يونس، الآية (٣).
(٥) سورة الرعد، الآية (٢).
(٦) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة ٢٣١/١.
(٧) نفس المرجع، ص٢٣٣.
(٨) الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص٩٢.

الْعَرْشِ)[1]... إلى أن قال: وقد أخبرنا أنه في السماء فقال:(أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ)[2]، وقال:(أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا)[3]، وقال:(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ)[4]، وقال:(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ)[5]، وقال:(يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)[6]، وقال:(وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ)[7]، فهذا خبر الله أخبرنا أنه في السماء...، وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان)[8]وهو ما ذهب إليه ابن خزيمة بقوله: (تعالى ربنا عن صفات المحدودين وتقدس عن شبه المخلوقين، وتنزه عن مقالة المعطلين، علا ربنا فكان فوق سبع سمواته عالياً ثم على عرشه استوى، يعلم السر وأخفى، ويسمع الكلام والنجوى، لا يخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء، ولا في لجج البحار ولا في الهواء)[9].

وأما ابن قتيبة فقد أثبت صفة الاستواء للمولى تبارك وتعالى وأنكر على المعتزلة وغيرهم تأويل هذه الصفة بمعنى الاستيلاء فقال:(وقالوا في قوله:(الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ)[10] أنه استولى، وليس يعرف في اللغة، استويت على الدار أي استوليت عليها، وإنما استوى في هذا المكان استقر، كما قال تعالى:(فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ)[11]

([1]) سورة الأعراف، الآية (٥٤).
([2]) سورة الملك، الآية (١٦).
([3]) سورة الملك، الآية (١٧).
([4]) سورة فاطر، الآية (١٠).
([5]) سورة آل عمران، الآية (٥٥).
([6]) سورة النحل، الآية (٥٠).
([7]) سورة الأنعام، الآية (١٨).
([8]) الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل، ص٩٣-٩٤.
([9]) كتاب التوحيد، لابن خزيمة ٣/١.
([10]) سورة طه، الآية (٥).
([11]) سورة المؤمنون، الآية (٢٨).

أي استقريت)[1]، ثم قال: (وعدل القول في هذه الأخبار أن نؤمن بما صح منها بنقل الثقات لها فنؤمن بالرؤية والتجلي، وأنه يعجب وينزل إلى السماء، وأنه على العرش استوى)[2].

وأما الإمام الدارمي فقد عقد باباً لإثبات هذه الصفة قال فيه: (باب استواء الرب تبارك وتعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق)[3]، إلى أن قال: (استوى على عرشه فبان من خلقه لا تخفى عليه منهم خافية، علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ(لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)[4])[5].

ويبدو واضحاً من العرض السابق لأقوال الأئمة أنهم يثبتون لله عزّ وجل صفة الاستواء الذي يوافق معنى العلو والفوقية، كما دلّ على ذلك صريح القرآن والسنة وإجماع الأمة، وهو ما أكده الشيخ حافظ الحكمي بقوله: (كذا ثابت له العلو والفوقية، بالكتاب والسنة وإجماع الملائكة والأنبياء والمرسلين وأتباعهم على الحقيقة من أهل السنة والجماعة على عباده، فوقهم مستوياً على عرشه، عالياً على خلقه، بائناً منهم، يعلم أعمالهم، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم وسكناتهم، لا تخفى عليه منهم خافية...، والفطر السليمة، والقلوب المستقيمة مجبولة على الإقرار بذلك لا تنكره)[6].

ويبدو أن هذه الفطرة هي التي أشار إليها الدارمي بقوله: (ثم إجماع من الأولين والآخرين والعالمين منهم والجاهلين، أن كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى، أو دعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها، ولم يكونوا يدعونه من أسفل منهم، من تحت الأرض، ولا من أمامهم، ولا من خلفهم، ولا عن أيمانهم، ولا عن شمائلهم، إلا من فوق السماء لمعرفتهم بالله أنه فوقهم)[7].

---

(1) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة، لابن قتيبة، ضمن كتاب عقائد السلف، للنشار، ص٢٤١.
(2) نفس المرجع، ص٢٤٣.
(3) الرد على الجهمية، للدارمي، ص٢٦٧.
(4) سورة الشورى، الآية (١١).
(5) المرجع السابق، ص٢٥٥.
(6) معارج القبول، لحافظ ابن أحمد حكمي ٨٣/١.
(7) الرد على الجهمية، للدارمي، ص٢٧٠.

وأما من السنة فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبي)[1]، فوجه الاستدلال في الحديث قوله: (عنده فوق العرش)، فالسنة موافقة لما أخبر به القرآن من استواء الله على عرشه كيفما شاء بلا كيف كما دلّ إجماع السلف على ذلك من غير تكييف ولا تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل.

٢/ صفة المجيء والإتيان والنزول.

الناظر إلى القرآن الكريم يجد أنه قد صرح بذكر المجيء والإتيان حيث قال تعالى:(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)[2]، وقوله تعالى:(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ)[3]، وقال تعالى:(هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ)[4]، وهذا إن دلّ إنما يدل على ثبوت هذه الصفة لله عزّ وجل ولذلك فقد أثبت السلف صفة المجيء والإتيان إثباتاً حقيقياً لله عزّ وجل بلا كيف، واستدلوا بالآيات السابقة على ثبوتها، يقول ابن كثير في قوله تعالى:(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا)(يعني لفصل القضاء بين خلقه...، فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً صفوفاً)[5].

وقد أبان الشيخ حافظ حكمي أن الآيات السابقة صريحة في إثبات صفة المجيء والإتيان لله تبارك وتعالى، ثم قال: (بل كل ذلك حق على حقيقته ولا منافاة بين قربه عزّ وجل وبين علوِّه فإنه هو العلي المتصف بجميع معاني العلو ذاتاً وقهراً وشأناً، في دنوه فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كل ليلة وعشية عرفة وغير ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاء بين عباده كيف شاء،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب التوبة، باب في سعة رحمة الله تعالى وأنها سبقت غضبه، حديث رقم٢٧٥١، ٢١٠٧/٤.
(٢) سورة الفجر، الآية (٢٢).
(٣) سورة البقرة، الآية (٢١٠).
(٤) سورة الأنعام، الآية (١٥٨).
(٥) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير ٥١١/٤.

وليس ذلك منافياً لفوقيته فوق عباده واستوائه على عرشه فإنه ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته ولا أفعاله)[1].

وهو ما قرره القاسمي بقوله: (فإذا كان الله قد وصف نفسه مثلاً بالاستواء على العرش، وبالمجيء يوم القيامة، وبأن له وجهاً ويدين وعينين، وبأنه يحب ويرضى ويكره، ويسخط، ويرحم، ويغضب، وإذا كان قد وصفه رسوله صلى الله عليه وسلم بأنه ينزل إلى السماء الدنيا، ويدنو من الحجاج عشية عرفة، وبأنه يضحك ويعجب...إلخ ما جاءت به النصوص الصحيحة من صفات الذات وصفات الفعل، فيجب أن يحمل ذلك كله على حقيقته دون أن يفهم منه التماثل بين الله وبين خلقه في شيء من هذه الصفات، فإن حقائقها بالنسبة لله عزّ وجل غير حقائقها بالنسبة للمخلوقين، فاستواؤه ليس كاستوائهم، ولا مجيئه كمجيئهم، ولا يده كأيديهم، ولا حبه ورضائه كحبهم ورضائهم، فإن الاشتراك في الأسماء لا يقتضي تماثل المسميات)[2].

وأما من السنة فقد استدلوا بقوله صلى الله عليه وسلم: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تبارك وتعالى، فإذا جاء ربنا عرفناه)[3]، وجه الاستدلال في الحديث: (فيأتيهم الله... فإذا جاء ربنا)، حيث أثبت المجيء والإتيان لله تعالى.

والحديث بهذا يقرر ما ورد في القرآن بشأن هذه الصفة ولا شك أن القرآن والسنة هما أعلى أدلة الإثبات.

فالسلف يثبتون لله ما أثبته لنفسه من الصفات وما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم في سنته كذلك كما يقول ابن تيمية: (وطريقة سلف الأمة وأئمتها أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل، إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل)[4].

---

(1) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، لحافظ بن أحمد حكمي ١٢٣/١.

(2) دلائل التوحيد، للقاسمي، ص٥٥-٥٦.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية، حديث رقم١٨٢، ١٦٣/١.

(4) منهاج السنة النبوة ٥٢٣/٢.

وأما صفة النزول فلم يرد ذكرها في القرآن الكريم صراحة وإنما دلت عليها السنة النبوية الصحيحة حيث قال صلى الله عليه وسلم: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا، حين يبقى ثلث الليل الآخر، فيقول: من يدعوني فاستجيب له، ومن يسألني فأعطيه، ومن يستغفرني فأغفر له)[1]، ويقول صلى الله عليه وسلم: (إن الله يمهل حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول نزل إلى السماء الدنيا، فيقول: هل من مستغفر، هل من تائب، هل من سائل، هل من داع، حتى ينفجر الفجر)[2].

ولقد استدل السلف رضوان الله عليهم بهذه الأحاديث فأثبتوا صفة النزول لله تبارك وتعالى، يقول ابن خزيمة: (فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي صلى الله عليه وسلم لم يصف لنا كيفية النزول)[3].

ويقول حافظ بن أحمد حكمي: (ومما يجب الإيمان به وإثباته وإمراره كما جاء صفة النزول للرب عزّ وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحة المشهورة... ونحن نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب جلّ وعلا من غير أن نصف الكيفية، لأن نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم لم يصف كيفية نزول خالقنا إلى السماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جلّ وعلا لم يترك ولا نبيه صلى الله عليه وسلم بيان ما بالمسلمين إليه الحاجة من أمر دينهم)[4].

وأقوال السلف في إثبات صفة النزول متكاثرة متواترة[5]، وهذا إن دلّ إنما يدل على أنهم مجمعون على إثبات هذه الصفة لله كسائر الصفات الخبرية من صفات الذات وصفات الفعل.

ويتضح مما سبق أن الكلام في الصفات نوع من الكلام في الذات، ويُحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوماً أن إثبات الباري

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه،حديث رقم٧٥٨، ٥٢١/١

(2) أخرجه مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه، حديث رقم٧٥٨، ٥٢٣/١.

(3) كتاب التوحيد، لابن خزيمة ٢٩٠/١.

(4) معارج القبول، لحافظ بن أحمد حكمي ١٩٢/١.

(5) انظر: الرد على الجهمية، للدارمي، ص٢٨٤، كتاب التوحيد، لابن خزيمة١٢٥/١-١٢٦، أصول العقيدة الإسلامية التي قررها الإمام الطحاوي، ص٣٥.

سبحانه وتعالى إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية وتحديد، فوجب من ذلك إثبات الصفات كذلك لأن النص ورد بها من غير تشبيه ولا كيفية، وهذا إن دلّ إنما يدل على أن منهج السلف في الأصل يقوم على الإيمان بما جاء عن الله على مراد الله تعالى، وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثم إن إثبات الصفات التي وردت في القرآن والسنة إنما هو إثبات وجود وتصديق، لا إثبات تكييف ولا تشبيه ولا تأويل.

ملخص البحث

لم يتبقى إلا أن نشير في خاتمة هذه الدراسة بعد عرض(منهج السلف في تقرير مسائل العقيدة والاستدلال عليها(وجود الله وصفاته نموذجاً) لإثبات المسائل والقضايا المتصلة بالذات الإلهية من وجود وصفات، وبيان طريقة السلف في ذلك من حيث المصادر والقواعد وما يتفرع منهما مما لا يدع مجالاً للشك بأن البحث قد حقق طائفة من النتائج المنهجية والموضوعية على مدى دراسة موضوعه ولعل من أهمها ما يلي:

١- أن قضية الذات الإلهية ما يتصل بها من وجود وأسماء وصفات وأفعال تعد من أهم القضايا التي أثارت جدلاً في تاريخ الفكر الإسلامي، بل هي المحور الذي تدور حوله معظم آراء الفرق والمذاهب ومفكري الإسلام عموماً.

٢- إن قضية وجود الله عز وجل وما يتصل بها من قضايا لم تكن في الأصل محل بحث أو نظر خاصة في الصدر الأول للإسلام عند الصحابة والتابعين وأتباعهم، وذلك لسلامة المنهج والبعد عن مواطن الخلاف اعتصاماً بالكتاب والسنة النبوية.

٣- أن معرفة الله تعالى هي في الأصل فطرية تتقوى بالنظر في آيات الله الكونية والقرآنية الظاهرة.

٤- إن القرآن الكريم وجه النظر إلى الأدلة الكونية الدالة على وحدانية الله تعالى ووجوده كدليل الخلق والعناية والتقدير والتسوية وغيرها في أسلوب سهل وميسر لا يستعصي على العامة أو الخاصة وهي في نفس الوقت أدلة الشرع والعقل معاً.

٥- أن طريقة القرآن في عرض العقيدة الإسلامية وخاصة قضايا الألوهية، أي الذات وما يتصل بها هي طريقة تمتاز بتركيزها على توحيد الألوهية الذي
بعث الله به رسله وأنزل به كتبه وفرضه على عباده، فهي تصلح لجميع الناس بمقتضى الفطرة الإنسانية.

٦- أن مصدر عقيدة التوحيد عند السلف هو القرآن والسنة فهي عقيدة توقيفية وردت في الغالب بكلمة كن التلقينية.

٧- أن السلف لا يصفون الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في سنته فهم لا يقدمون بين يدي القرآن والسنة قولاً أو رأياً أو عملاً.

٨- أن منهج السلف في الاستدلال هو المنهج الأسلم والأعلم والأحكم الذي يجب إتباعه خاصة في قضايا الذات والصفات، لأنهم أهل السبق والدراية بمراد الله ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولا يسعني في الختام إلا أن أوصي بالتزام منهج السلف في تقرير قضايا الاعتقاد والاستدلال عليها خاصة في جانب الإلهيات وذلك لصحة مصدره وسلامه مسلكه هذا فوق أنه يخاطب الفطرة والعقل معاً.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

Research Summary.

It is only left to point out at the conclusion of this study after the introduction of the approach of the predecessor in the report of the issues of faith and the reasoning (the existence of God and his attributes as a model) to prove the issues and issues related to the divine nature of the presence of prescriptions, and to explain the way of the predecessor in terms of sources and rules and what branches from them Leaves no doubt that the research has achieved a range of systematic and objective results over the study of the subject and perhaps the most important of which are

١ - The issue of the divine self related to the existence of names and recipes and acts is one of the most controversial issues in the history of Islamic thought, but is the focus on which most of the views of the sects, sects and thinkers of Islam in general.

٢ - The issue of the existence of God Almighty and related issues were not originally the subject of research or consideration, especially in the first chest of Islam when the companions and followers and followers, for the safety of the curriculum and distance from the differences of opinion sit in the book and Sunnah

٣ - The knowledge of God is originally inherent innate to consider the verses of God cosmic and visible Koran.

٤ - The Holy Quran drew attention to the universal evidence that indicates the oneness of God and his existence as evidence of creation, care, appreciation, settlement and others in an easy and easy manner that is not difficult for the public or private and at the same time evidence of sharee'ah and reason together.

٥ - The way the Koran in the presentation of the Islamic faith, especially the issues of divinity, namely the self and related is a way to focus on the unity of divinity which

God sent him messengers and sent down his books and imposed on his slaves, it is suitable for all people according to human instinct.

٦ - The origin of the doctrine of Tawhid at the forerunner is the Quran and Sunnah is a doctrine of arrest and often received the word of being indoctrinated.

٧ - The advances do not describe God except what he described himself or described by His Messenger Muhammad peace be upon him in his year, they do not present in the hands of the Koran and the Sunnah word, opinion or work.

٨ - The approach of the advances in reasoning is the safest approach, knowledge and judgments that must be followed, especially in the issues of self and attributes, because they are the first people and knowledge of the meaning of God and intended Messenger peace be upon him

in conclusion, I would like to recommend the commitment of the approach of the salaf in determining the issues of belief and reasoning, especially in the aspect of the divine, for the health of its source and peace.

God bless our Prophet Muhammad and his family and him

المصادر والمراجع

١- البيهقي وموقفه من الإلهيات، تأليف د.أحمد بن عطية بن علي الغامدي، الطبعة الثانية(١٤٠٢هـ-١٩٨٢م).

٢- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، تأليف د.مصطفى السباعي، دار الوراق، الطبعة الثالثة (١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م)

٣- العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية، لمؤلفها وناظمها أحمد بن حجر آل بوطامي النبعكي، دار الكتب القطرية، الطبعة الأولى (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، الجزء الأول.

٤- منهج القرآن في عرض عقيدة الإسلام، تأليف جمعة أمين عبدالعزيز، دار الدعوة، الإسكندرية، الطبعة الثانية (١٤١١هـ-١٩٩١م).

٥- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للإمام الشوكاني (١١٧٣هـ-١٢٥٠هـ)، تحقيق شعبان محمد إسماعيل، دار الكتب، الطبعة الأولى (١٤١٣هـ-١٩٩٢م)، الجزء الأول.

٦- الإبهاج في شرح المنهاج، تأليف شيخ الإسلام علي بن عبدالكافي السبكي، المتوفي سنة ٧٥٦هـ، تحقيق د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٠١هـ-١٩٨١م).

٧- الإرشاد شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، للإمام موفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي (٥٤١-٦٢٠هـ)، شرح فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن الحيرين، دار الأفهام، الطبعة الثالثة (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م).

٨- الإيمان حقيقته وأثره في النفس والمجتمع، أصوله وفروعه، مقتضياته ونواقضه، تأليف د.محمد عبدالله الشرقاوي، دار الجيل، بيروت، الطبعة الثانية (١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٩ - البدعة وتحديدها وموقف الإسلام منها، تأليف عزت علي عيد عطية، دار الكتب الحديثة، القاهرة، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها).

١٠- التفسير والمفسرون، تأليف د. محمد حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة السادسة(١٤١٦هـ-١٩٩٥م)، الجزء الأول.

١١ - القاموس المحيط، تأليف العلامة اللغوي مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، المتوفي سنة٨١٧هـ، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة.

١٢- القضاء والقدر في الإسلام، د. فاروق أحمد دسوقي، دار الدعوة، الإسكندرية، بدون ذكر الطبقة وتاريخها.

١٣- الله في العقيدة الإسلامية، أحمد بهجت، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الأولى(١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م).

١٤ـ الله يتجلى في عصر العلم، تأليف نحبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، ترجمة د.الدمرداش عبدالمجيد سرحان، دار العلم، بيروت، لبنان، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)
١٥ـ المدخل إلى دراسة علم الكلام، د. حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية (١٤١١هـ-١٩٩١م).
١٦ـ المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، تأليف د. شعبان محمد إسماعيل، دار الأنصار، (بدون ذكر الطبعة وتاريخها)، الجزء الثاني، ص١٩، حجية السنة، عبدالغني عبدالخالق، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م).
١٧ـ المستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م).
١٨ـ المستصفى في علم الأصول، تأليف الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي، المتوفي سنة٥٠٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان (١٤١٧هـ-١٩٩٦م).
١٩ـ المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، دار الدعوة، استانبول، تركيا، الطبعة الثانية (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م)، الجزء الأول.
٢٠ـــ الوسيط في المذاهب والمصطلحات الإسلامية، تأليف د. محمد عمارة، شركة نهضة مصر.
٢١ـ آيات الله في الآفاق، تأليف محمد أحمد العدوي، مطبعة المنـار بمصر، الطبعة الأولى (١٣٥٢هـ-١٩٣٣م).
٢٢ـ دراسات في علوم القرآن، د.محمد سالم عبيدات، دار عمار، الأردن، عمان، الطبعة الأولى (١٤١١هـ-١٩٩٠م).
٢٣ـ رسالة التوحيد، تأليف الشيخ محمد عبده، المتوفي سنة (١٣٢٣هـ-١٩٠٥م)، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء.
٢٤ـ سنن الترمذي،لأبي عيسى محمد بن عيسى ،تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض،دار سحنون،الطبعة الثانية(١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م).
٢٥ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم، تأليف الشيخ الحافظ أبي القاسم هبة الله اللالكائي، (ت:٤١٨هـ)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م)، الجزء الأول.
٢٦ـ شرح الأصول الخمسة،لقاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد،تحقيق د. عبد الكريم عثمان،مكتبة وهبة،القاهرة،ط١(١٣٨٤هـ ـــ ١٩٦٥م)
٢٧ـ شرح الطحاوية في العقيدة السلفية،تأليف علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي(٧٣١هـ ـــ ٧٩٢م)،تحقيق أحمد محمد شاكر،الدار

السودانية للكتب،السودان ،الخرطوم.٤- صحيح البخاري،للإمام البخاري ،تحقيق د. مصطفى الذهبي ،دار الحديث، القاهرة.
٢٨- شرح كتاب الفقه الأكبر، للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت، شرح الإمام الملأ علي القارئ الحنفي، المتوفي سنة ١٠١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٩- صحيح مسلم ،للإمام مسلم،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة ط١(١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م)
٣٠ - عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، تأليف د. محمد أحمد محمد عبدالقادر خليل مكاوي، مكتبة الرشد، الرياض (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
٣١- عقيدتنا الإسلامية، د. محمد المكاوي وآخرون، الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
٣٢- عقيدتنا الإسلامية، د.محمد الملكاوي وآخرون، الأكاديميون للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية الهاشمية، عمان، الطبعة الأولى (١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م).
٣٣- علوم الحديث ومصطلحه، عرض ودراسة وتأليف د. صبحي الصالح، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة عشرة،١٩٨١م.
٣٤- قضايا الفقه والفكر المعاصر، أ.د.وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى(١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م).
٣٥- كتاب الأسماء والصفات، للإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٦- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عزّ وجل، تأليف الحافظ محمد بن إسحق بن خزيمة، مكتبة الكليات الأزهرية (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م).
٣٧- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، مطابع دار العربية، بيروت، لبنان، تصوير الطبعة الأولى١٣٩٨هـ، المجلد الثاني عشر.
٣٨- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، تأليف الشيخ حافظ بن أحمد حكمي، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، دار ابن خلدون، الجزء الأول.
٣٩- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبدالعظيم الزرقاني، دار الفكر، بيروت، لبنان (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، المجلد الأول.
٤٠- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، تأليف عثمان بن علي حسن، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الثالثة (١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، المجلد الأول.
٤١- موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م)، الجزء الأول.